
اجاثا كريستي
الثّلوجُ الدامِيَة
المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان

أجاثا كريستي

الثّلوجُ الدامِيَة

المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان

الثلوج الدامية

الفصل الاول

سطعت شمس يوليو الحارة ، فوق سطح البحيرة المصقولة التي تقوم على ضفتيها بضع كبائن خشبية متصلة مئينة البنيان ، يتوسطها كشك رئيسي أعد لكي يتناول فيه المصطافون وهواة صيد السمك طعامهم .

وجلس في شرفة (الكشك) رقم ٣ رجل متوسط العمر ، مورد الوجه ، راح يحدق بعينيه الزرقاوين اللامعتين في قطعة صغيرة من الورق عليها اسم أحد منتديات نيويورك ، وقد كتب في هذه الورقة سطر واحد استغرق عنايته وشغله عما حوله من جمال الطبيعة وسحرها .

وكان هذا الرجل منذ اجتيازه حدود الولايات المتحدة ودخوله أراضي كندا الفرنسية لا يفتأ يبرز من جيبه هذه الورقة ، ويمعن النظر باهتمام عميق في الكلمات الأربع التالية التي تضمنتها وهي : « جوزيف روفيير . سان فلورنتين » .

وفيما هو كذلك هتف به صوت عند سلم الكابينة ، فانتفض وسارع إلى إخفاء الورقة ووقف لاستقبال القادم ، فـــإذا هو رجل نحيل الجسم ،

أشيب الشعر ، بادي النشاط يحمل في إحدى يديه قصبة الصيد وفي الأخرى قبعة قديمة بها طعم لصيد السمك .

وقال ووجهه مشرق بالابتسام :

— إنني أدعى (آدمز) وأنا أقيم بالكشك المجاور لك . وقد شاهدتك قادماً وأنا أتناول طعامي ، فشعرت بأن واجب الجوار يحتم علي أن أحضر اليك لتحيتك .

فقال صاحبه .

— وأنا أدعى وريد جولد . تفضل بالدخول .

فقال آدمز وهو يدخل :

— لا أستطيع ان أمكث أكثر من دقيقة واحدة . لأنني سأنطلق صحبة (ريس) الصغير لأنه صياد ماهر. وهو يقيم بجوارنا مع والده الضابط البريطاني المتقاعد . فلماذا لا تأتي معنا ؟

— هذا كرم منك .. لكن ، الواقع أن لدي بعض مشاغل هامة .

— في وسعك أن ترجئها إلى ما بعد . أنت من هواة الصيد .. اليس كذلك ؟

— إلى حد ما .

— إنك كسائر المصطافين الذين يقيمون معنا .. هل أنت من كويبك ؟

— بل من نيويورك .

— وماذا حملك على اختيار هذه البقعة النائية ؟ إن أغلب الأمريكيين يفضلون الذهاب إلى الصيد في مصايد الحكومة . لعلك صديق لفورجيرون العجوز ؟

— لقد اجتذبتني إلى هنا عزلة المكان فعولت على الراحة وتبديل

الهواء ..

فضحك آدمز وقاطعه قائلاً :

- لقد وفقت في اختيارك .. ألم تأت إلى كندا الفرنسية من قبل ؟

فأجاب مستر تريد جولد بالنفي ..

فقال آدمز :

- سيروقك هذا المكان . فإن أهله يعيشون كما كان يفعل أسلافهم قبل الثورة الفرنسية . وفي كل مرة آتي إلى هنا يساورني شعور عجيب بأنني عدت إلى الماضي . إن كل شيء لا يتغير هنا .

- الحق انني في شوق شديد للتوفر على دراسة أحوال هذه الناحية وأطوار أهلها .

وكان آدمز في هذه الأثناء يمر بأصابعه فوق طائفة من الكتب صفت على مائدة أمامه .

ولم يلبث أن قال :

- هذه مجموعة غريبة . هل تتكلم الفرنسية ؟

- بطلاقة .

- سيساعدك هذا في إقامتك هنا . إذ لا يوجد سوى بضعة أفراد في قرية سان فلورنتين يفهمون الانجليزية .

- هل أنت من كندا الفرنسية ؟

- أنا ؟ كلا . إنني محام من تورنتو .

وانحنى آدمز وجعل يطالع عنوان أحد الكتب وقال .

- « دليل الطوابع العالمي » هل أنت من هواة جمع الطوابع ؟

- نعم . وهي هواية محببة إلى نفسي .

وقرأ آدمز عنوان كتاب آخر ، ثم حملق في وجه صاحبه في شيء من

الحيرة وقال :

- هل تقرأ كذلك كتب الأبحاث الجنائية ؟!

فقال في شيء من القلق .

– أرجو ألا يفوتك ان الدليل على جرم ذلك الشخص هو حتى هذه اللحظة مجرد استنتاج .

فقال العمدة ·

– هل حدثت الفتاة ، بشأن هذه الجريمة ، كما اقترح القس ذلك ؟ .

فقرر تريد جولد ان الانسة دي سان ربي لم تستطع أن تلقي شيئاً من الضوء على وجود ادمز في القصر . وانه يلوح انها لم تره او تشعر به حينما اتى الى القصر وكذلك الحال مع الخادم .

ثم استطرد متابعاً :

– وهي صريحة في كلامها انها لم تكن تعلم هي او جدها ، بوجود ادمز في المصيف .

– ومتى وصل الى هذا المصيف ؟

– لقد أخبرني انه وصل يوم الأحد .

– لم يسمع أحد منا في القرية بوجوده هنا .. ثم ان انج ترمبلاي لم يكن يعرفه . ومما لا ريب فيه ان مستر ادمز لم يكن يعلم قط ان صاحب القصر قد عاد اليه ، وإلا لحضر الى هنا قبل هذه الليلة .

– لقد أفادت الفتاة انه يمت بصلة النسب الى العائلة .

– هو ما تقوله . لكن العلاقة ، بينه وبين صاحب القصر ، كانت سيئة !

وخفض صوته واستطرد يقول :

– ان الشائع على كل لسان هو انه لو لم يفر مسيو دي سان ربي الى فرنسا منذ ثلاث سنوات ، لكان مستر ادمز قاده الى السجن !

فأومأ تريد جولد برأسه وقال

- لقد ألمح لي ادمز بشيء كهذا .. ولكن ما سر هذا العداء الذي كان بينهما ؟

- انني لم أقف على كافة التفاصيل التي تتعلق بهذه المسألة ، كما ان الاستاذ بوشيرون من الأشخاص الذين لا يتفوهون بكلمة عن موكليهم ، ولكني مع ذلك قد فهمت ان مسيو دي سان ريمي ، عهد اليه في الاشراف على استغلال أموال خاصة بشقيقته انيتا ، على ان يؤدي اليها ما في ذمته عند زواجها .

ولا تنس ان الانسة انيتا ، قد تزوجت فيما بعد ، والد مستر ادمز !.

ولما توفي مسيو بيير والد أنيتا وأخيها مسيو دي سان ريمي ، اتفقت الاراء على وجوب إبقاء التركة يديرها الأخ كما كان يفعل من قبل ، على أن تتناول اخته الريع فقط كالمتبع .

وحدث بعد ذلك ان توفي زوج الأخت الذي هو والد مستر ادمز ، وأراد هذا أن يصفي تركة والده ، فذهب الى مسيو دي سان ريمي مطالباً بالأموال التي اؤتمن عليها .

ولشد ما كان خوفه حينما رأى انه قد بددها ، وان ما بقي من التركة أصبح مثقلا بالديون

وبيعت الأملاك المحيطة بالقصر ، بعد ذلك ، وفر السيد الى فرنسا !.

وأشيع على الأثر ان ادمز أقسم ان يزج به في السجن اذا وطئت قدماه أرض كندا .

وهنا قال تريد جولد :

- اذن هذا هو السر في انهما كتما أمر وجودهما هنا .

وقال القاضي اخيراً وكان واقفاً بجانب وود :

- ماذا نفعل الان يا جوزيف ؟ هل نذهب لمعاينة الجثة ؟

وانتقل الجميع الى غرفة الاستقبال حيث كانت الجثة .

ولقد لاحظ تريد جولد ان القاضي وإن كان يباشر التحقيق كما يملي عليه منصبه ، إلا ان العمدة هو الذي كان يوجهه ..

وانحنى روفيير فوق الجثة ، وما لبث ان أشار الى وود ان يقترب منه ، وراح يلقي عليه سيلا من الأسئلة عن سبب الوفاة وموعدها بالتقريب ، وعن طبيعة السلاح الذي ارتكبت به الجريمة ، وأين كان القتيل واقفاً حينما أصابته طعنة القاتل !

وقال الطبيب حين نقل اليه تريد جولد مؤدى هذه الأسئلة بالانجليزية . انه يعتقد ان ادمز قد شاهد من الخارج ضوءاً ينبعث من نافذة غرفة الطعام . فدخل للغرفة ، ولما لم يجد بها أحداً ، حمل المصباح وشرع يتفقد جوانب القصر

ولما وصل الى غرفة الاستقبال سمع صوتاً مريبـــاً في غرفة الطعام ، فأراد ان يتخلص من المصباح فوضعه على الأرض ، وهم بأن يحوّل وجهه الى الباب .

وفي هذه اللحظة وثب عليه القاتل الذي كان قد تبعه من غرفة الطعام ، وطعنه الطعنة التي قضت عليه .

وقد اقتنع روفيير بهذا التعليل والاستدلال . فغمغم قائلا :

- لا بد ان هذا ما حصل بالضبط ، ولكن ألم تجد السكين او الخنجر الذي ارتكبت به الجريمة ؟!

فرد تريد جولد انه لم يعثر بالسلاح الذي ارتكبت به الجريمة وان الدكتور وود يعتقد ان هذا السلاح ليس سكيناً أ. ولكنه مثقـــاب ، أو أداة من هذا النوع !

فأطرق برأسه موافقاً !. وكان من رأيه ان المثقب ليس أداة يتعذر على الأعور الحصول عليها .

وقد كان العمدة أول من لفت نظر قاضي التحقيق الى ضرورة الاحتفاظ بالمصباح وصيانته ليتمكن رجال البوليس من نقل بصمات الأصابع التي عليه ، وكان هو الذي فتش جيوب القتيل ، ولكنه لم يجد بها شيئاً يستحق الذكر .

كان كل ما عثر به مع القتيل هو علبة تبغ وطائفة من المفاتيح ، وحافظة أوراق ، ورخصة قيادة سيارة وبعض بطاقات زيارة ، وطائفة من الأوراق المالية أحصاها فجمعت ٢٥٠ دولاراً .

فقال :

— هذا يدل على ان السرقة لم تكن الدافع الى الجريمة .

وقد عثر في صدرية القتيل على رسالة من مكتب مسيو فورجيرون صاحب المصيف ينبئه فيها بأنه احتجز له كابينة على شاطىء البحيرة وعثر مع هذه الرسالة على قائمة حساب من أحد الفنادق .

* * *

ولما فرغ قاضي التحقيق من تكوين رأيه ، ابتعد بالعمدة قليلا وراح يتكلم معه في همس .

ومن ثم أرشده تريد جولد الى أثر القدم الملوث بالدماء ، فاهتم الدكتور كوتييه بهذا الأثر اهتماماً عظيماً ، وأخرج من جيبه مقياساً خاصاً ، سجل به قياس القدم .

وفي هذه الأثناء كان روفيير يتعقب اثار القـــدم الملوث بارشاد تريد جولد . بينما كانت الانسة تستقبل راهبتين بعث بهما النس للسهر عـلى جثمان الجد .

وانتهز روفيير هذه الفرصة ، وعاد أدراجه الى قاضي التحقيق ، وقال له :

– لننتهز فرصة غياب الفتاة وننقل الجثة من هنا !

– حسناً !

– نستطيع حملها الى مخزن الحنطة في منزلك . كما فعلنا بجثة حارس الطاحون !

وحدث عند رفع الجثة من مكانها ان عثر روفيير تحتها على قلم مذهب فدفع به الى قاضي التحقيق .

ثم رافق الجثة حتى وضعت في سيارته

الفصل الحادي عشر

أدخل (الأعور) المتهم بقتل مستر آدمز إلى الغرفة التي ارتكبت فيها الجريمة . وكان الرجل رث الثياب وفي حالة يرثى لها ، فتأمله تريد غولد عن كثب . وشعر في الحال انه أمام مخلوق ضعيف الادراك ، ولكنه ليس مجنوناً .

وحضر القوم طاولة وقتية من بعض ألواح الخشب بسطت فوق برميلين كبيرين ، وجلس قاضي التحقيق فوق مقعد أتي به من القصر ، وظل الباقون وقوفاً .

وافتتح مسجل العقود إجراءات التحقيق ؛ فوجه كلامه إلى القاضي قائلاً :

– لقد قصدت بصحبة الأخ لافوامبواز إلى كوخ هذا المتهم ، طبقاً لأمر العمدة ، فألفيناه نائماً . . وعانينا كثيراً في إيقاظه ، لفرط ما شرب أمس . . فلما أفاق أخبرناه ان أحد المصطافين قد قتل داخل القصر وإن الشبهة تحوم حوله ، ولكنه لم يجب . .

ووضع مسجل العقود مدية للصيد في غمدها فوق الطاولة ، ثم استطرد قائلاً :

– ولقد عثرنا بهذه المدية معلقة في وسطه . . ولكنها نظيفة ، ولم نشاهد

آثار دماء على ثيابه .

فتناول الدكتور كوتييه المدية وأخرجها من غمدها وأخذ يفحصها ، ثم ناولها إلى الدكتور وود ، وقال وهو ينظر الى المتهم من فوق نظارته :

— ماتياس . ان شخصـــاً من نزلاء المصيف يدعى ادمز قد قتل في القصر هذه الليلة .. هل تفهم ما أقول ؟. لقد قتل بطعنة خنجر ، فما قولك في ذلك ؟

فجعل الأعور يحدق في القاضي دون ان ينبس بكلمة واحدة ، فاستطرد هذا قائلاً :

— هيا ! تكلم !. لقد علمنا انه اعتدى عليك أمس . فهل قتلته انتقاماً لما أصابك منه ؟

لكن المتهم أصر على صمته .

فقال الدكتور كوتييه :

— ما السبب في دخولك سراً إلى (كابينة) القتيل ؟ هل كنت تنوي سرقته ؟.

فهز المتهم رأسه ، ثم أشار باصبعه إلى ناحية تريد غولد وتمتم قائلاً :

— لقد رأيته فأردت ان أعرف ماذا يريد ..

فقال روفيير يفسر قوله :

— هذا صحيح ، فإن مستر تريد غولد أخبرني انه مر بقربة من القصر بعد ظهر أمس ، وان الأعور قد رآه .. لكن هذا لا يفسر لنا لماذا انسل إلى داخل كابينة القتيل ؟

فقال الأعور في صوت أجش :

— لقد أردت ان أرى ..

وكف عن إتمام عبارته، فقال القاضي :

— هل تريد أن تقول انك رأيت شخصاً حسبته مستر آدمز ؟

فأومأ الأعور برأسه مجيباً ، وتابع القاضي قائلا :

– وانك أتيت الى الكابينة لتتأكد من انه هو ؟. حسناً ! إذن كنت تعرفه من قبل ؟.

– نعم كنت أعرفه من زمن طويل .. حينما تزوجت الآنسة أنيتا .. فإنها وزوجها كانا يدعوانه إلى القصر .

فسأل القاضي :

– ولكن ما علاقتك أنت بآدمز ؟

– كان عدواً لمسيو هكتور دي سان ريمي .

وهنا تدخل الاستاذ بوشيرون مسجل العقود قائلا :

– كان المعروف في الأعوام الأخيرة ان العلاقات بين مسيو هكتور ومستر آدمز ليست على ما يرام

ثم هز كتفيه واستطرد قائلا :

– لكن هل يعرف سيدي القاضي تلك الفكرة التي تسيطر على هـذا المخبول؟. إنه يظن ان كل غريب يأتي الى هنا إنما يريد ان ينتزع القصر من صاحبه ..

وفي هذه اللحظة فتح الباب وأقبلت الفتاة .لكنها لم تعبأ بنظراتهم وتقدمت حتى وقفت بجوار المتهم

وقال روفيير يسأله :

– هل أخبرت مسيو هكتور ان مستر آدمز يقيم بالمصيف ؟

فأطرق الأعور برأسه علامة الايجاب ، وأخذ يخالس الفتاة النظر ، فخيل الى ترية غولد انها فوجئت بهذا الجواب الصامت .

قال العمدة :

– متى كان ذلك ؟

فقال الأعور وقد لاحظ تريد غولد انه ينظر الى الفتــاة خلسة وفي شيء

من القلق :

– في هذه الليلة .

فرد القاضي والعمدة في وقت واحد :

– هذه الليلة ؟.

فرد المتهم :

– كان مسيو هكتور مريضاً طول النهار ، فلم استطع أن أخبره قبل ذلك.

فسأل روفيير :

– ولماذا لم تخبر الآنسة ؟

– لأني لم أرها كذلك .. وأخبرني جاك إنها مع الجد ولا يجب إزعاجها .. أما في هذه الليلة فأحضرت معي خبزاً وبيضاً وأردت ان أوصل الطعام لجاك، فرأيت مسيو هكتور بباب المطبخ ، وأخبرته .

وهنا قالت الفتاة في رزانة :

– متى حصل ذلك يا ماتياس ؟

فأطرق الأعور برأسه ولم يستطع ان يعين الوقت ، على انه لم يلبث ان قرر انه سمع ساعة الكنيسة تدق العاشرة حينما كان يقصد الى القرية .

فسأل القاضي في صوت حاد :

– أتعني انك تركت مسيو هكتور بعد تلك المقابلة وذهبت الى القرية ؟

– نعم وذلك بناء على أمره .

– ولماذا ؟

– لاستدعاء الاستاذ بوشيرون .

فصاح مسجل العقود قائلا :

– لاستدعائي أنا ؟

والتفت الى القاضي قائلا :

– هذه اول مرة أعلم ذلك . ولكني على كل حال كنت غائباً عن المنزل

طول النهار في ناحية (ترواين) ولم أعد إلا في ساعة متأخرة ..

ثم انثنى الى المتهم قائلا :

– هل أتيت الى منزلي ؟. إن غرضي من هذا السؤال يا سيدي القاضي ، هو ان أقرر ان خادمي لا يبيت في المنزل . وإذا كان هذا الشخص قد أتى في الساعة الحادية عشرة ، فلم يكن أحد بالمنزل لمقابلته .

قال القاضي :

– مهلا يا أستاذ بوشيرون ، فإنك تكاد تربكني بأقوالك المتتابعة .

ثم تحول الى المتهم قائلا :

– قلت ان سيدك أرسلك لاستدعاء الاستاذ بوشيرون ؟

فقرر الأعور ان مسيو هكتور أمره ان يخبر الأستاذ بوشيرون بأنه يريده في مسألة مستعجلة ، وانه يود ان يراه في نفس الليلة . لكنه حينما اتجه الى منزل مسجل العقود وطرق الباب لم يجبه أحد ، لذلك عاد خائباً .

– وكم كانت الساعة حينما ذهبت الى مسكنك ؟

وهنا ظهرت على محياه دلائل القلق ، ولم يلبث أن قال في حذر :

– لا أدري .

فسأل العمدة :

– هل أسرفت في الشراب الليلة ؟

– لقد كان المطر يهطل ، ولا بد من شيء يدفع البرد .

فقال القاضي يكلم العمدة :

– ألم أقل لك من قبل يا جوزيف ان الخمور لا تزال تباع في القرية ؟.

ثم نظر الى المتهم في صرامة وقال :

– من اين ابتعت الخمر ؟

فلزم ماتياس الصمت ، اما روفيير فانه قال :

– وماذا يهم معرفة المصدر الذي ابتاعها منه ؟ إن ما حصل بعد ذلك

واضح كل الوضوح ، إنه يكذب حين يزعم انه قصد الى مسكنه ، والواقع انه ذهب الى القصر كي يخبر مسيو هكتور بأنه لم يجد الاستاذ بوشيرون.. ولا شك انه صادف آدمز في القصر ، فقتله وهو تحت تأثير الشراب .

ونظر روفيير الى المتهم وتابع :

ـ اليس هذا ما حصل ؟ هيا ايها الأعور . إن الانكار لن يجديك شيئاً لقد قتلت آدمز اليس كذلك ؟

وأمسك روفيير بخناق المتهم وأخذ يهزه بعنف قائلا :

ـ أجب ايها اللعين !. أجب !.

فوثبت الفتاة الى الأمام وصاحت قائلة :

ـ دعه وشأنه ! ألا ترى انك تدخل الفزع على نفسه ؟ انك تعلم انه مصاب بضعف في قواه العقلية !. فمن النذالة والخسة ان تعامله على هذا النحو !.

إنني أؤكد ان هذا الرجل المسالم لا يمكن ان يقدم على ارتكاب جريمة كهذه !. لقد استولى عليه الآن الاضطراب والفزع !. وهو لا يدرك ما يقول ! دعني أخاطبه على انفراد .. وسوف أجعله يجيبكم الى كلما تريدون الوقوف عليه .

فرفع روفيير رأسه فجأة .. وسمع في هذه اللحظة صوت عجلات في الخارج . وما هي إلا هنيهة حتى فتح الباب ، ودخل منه رجل يحمل في يده حذاء .

وتقدم الرجل الى الطاولة ، ووضع الحذاء أمام القاضي ، وقال في إيجاز :

ـ إننا وجدنا هذا مخبوءاً في سقف كوخ الاعور !

فتناول القاضي الحذاء وجعل يقلبه بين يديه ، فإذا هو رث بال ، ملطخ بالوحل ، تعلوه لطخ حمراء اللون

ورفع الحذاء الى أعلى وسأل :

- هل هذا حذاؤك يا ماتياس ؟

فشخص الجميع بأبصارهم إلى المتهم فرأوه يطرق برأسه ، وقد أخذت عينه الوحيدة تختلج ذات اليمين وذات الشمال في يأس واستسلام ..

وتناول القاضي من جيبه دفتراً و (مقياساً) وشرع يقيس الحذاء ويضاهي النتائج بما هو مسطور لديه في الدفتر عن حجم آثار الأقدام التي عثر بها قرب جثة القتيل ، وما لبث ان رفع رأسه ونظر إلى العمدة قائلاً :

- إن النتائج متطابقة ..

قال روفيير :

- أرى ان تأمر بحبسه . فإن القانون يخولك هذا الحق ..

وانحنى فوق القاضي وأخذا يتهامسان فيما بينهما ..

أما الفتاة فلم تبرح مكانها .. وإنما راحت تحدق في فزع واضطراب الى محيا ذلك المخبول الذي طاش رأسه خوفاً ..

وأدار وود الطرف حوله فوجد ان تريد قد اختفى ، فلمس ذراع الفتاة وقال لها :

- يحسن بك الآن ان تغادري هذا المكان ..

ورأى وود في البهو راهبة تصلي ، فأفهمها في فرنسية متعثرة ، إن الفتاة بحاجة إلى الراحة . وأجابته الراهبة انه لا بأس من بقاء الآنسة (أدريين) مؤقتاً في القصر تحت رعايتها وزميلة لها ..

إذن فالفتاة تدعى (أدريين) !.

إستعذب وود هذا الاسم وراح يذكره في سره .. لكن الفتاة لم تنبس ببنت شفة ولم ترسل اليه نظرة واحدة .. وإنما كان يلوح عليها اضطراب شديد حتى لتكاد تهوي إعياء ..

وطلب وود الى الراهبة ان ترافق الفتاة إلى غرفتها وقال لها :

- سأترك لك دواءاً يهدىء أعصابها ويجلب لها النوم .

ولما خرجتا تذكر انه ترك حقيبته الصغيرة في غرفة الميت، فذهب للبحث عن الخادم ليأتيه بها .

والفى وود المطبخ خالياً ، ففتح الباب الخارجي ، ورأى تريد واقفاً في ممشى الحديقة ، وعاقداً يديه خلف ظهره ، واستغرق في تفكير عميق .. فسأل الطبيب :

- ماذا بك يا صاحبي ؟

فانتفض تريد غولد وهتف قائلاً :

- آه !. هذا أنت يا جورج !

- أراك تبحث هنا ، فهل عثرت على آثار جديدة ؟

فهز تريد غولد رأسه سلباً .

ثم سأل وود فجأة :

- هل حضر القس في سيارة ؟

- أظن ذلك . او على الأقـــل ، سمعت صوت محرك سيارة ، حينما انصرف .

- ألم تلاحظ انه كان ينتعل في قدميه حذاء من المطاط فوق حذائه العادي إتقاء المطر ؟

- كلا !. ولم هذا السؤال ؟.

- لا شيء !. إنها فكرة عارضة !

- حسناً ! رأيت انهم يتهمون الأعور

- هذا ما يلوح لي .

ورأى الطبيب جاك في المطبخ ، فكلفه باستحضار حقيبته وقال مخاطباً تريد غولد :

- يجب أن نتأكد قبل الانصراف من انهم لا يحتاجون الينا .

وفيما كانا يسيران في الطريق إلى حجرة الاستقبال هتف وود فجأة وهو يثب نحو الباب المؤدي إلى البهو :

– هذا غريب !.

فسأل تريد غولد وهو يلحق به :

– ماذا حصل ؟

فأشار الطبيب إلى الأسلحة المعلقة بالجدار وقال :

– أنظر إلى هذه (الحربة) المثبتة بطرف البندقية . اني لا أذكر اني رأيتها هنا من قبل .

فبدرت من تريد غولد صيحة مختنقة !. وراح يحملق نحو البندقية !. وما لبث ان هتف قائلاً :

– يا إلهي !. لا شك اني كنت أعمى

فنظر وود إلى تريد غولد متحيراً ، ثم انحنى إلى الأمـــام وأخذ يفحص (الحربة) .. فإذا طولها لا يتجاوز قدماً واحداً ، وفي قبضتها حلقة صغيرة ثبتت بواسطتها في فوهة البندقية .

همس وود قائلاً :

– أنظر !. إن النصل مثلث الشكل !.

الفصل الثاني عشر

قال تريد جولد في صوت اجوف:

- لقد اخبرني الدكتور كونيه منذ ساعة فقط ، حينما وقفت معه في الحجرة ننتظر وصول الأعور ، انه كان فيما مضى كثير التردد على هذا القصر وانه كان يعلم بوجود (حربة) مثبتة بهذه البندقية .. وذلك لأن (الحربة) لم تكن موجودة حينما قال لي ذلك . إنني لا أكاد أملك صوابي كلما فكرت في أنه قد لفت نظري إلى ضياع (الحربة) ، وانني لم أعر هذه النقطة عناية كافية ..

وأخرج من جيبه منديلا ولفه حول أصابعه ثم راح ينتزع (الحربة) من موضعها برفق وقال :

- إن من أعاد (الحربة) قد بذل جهده حتى لا يترك أثراً فوقها ولكن لا يبعد أن يكون قد ترك أثراً ما عن غير وعي .

- اصغ إلي يا صاحبي .. إن هذا الاكتشاف الجديد يضاعف غموض القضية .. فإن الأعور لا يمكن أن يكون هو الذي وضع هذه (الحربة) مكانها ذلك لأنه لم يأت إلى هنا إلا بعد أن رأيت أنت والقاضي ان (الحربة) غير مثبتة في البندقية .

- هو ما تقول ..

وفي هذه اللحظة فصل تريد (الحربة) من البندقية وراح يفحصهـا بعناية وهو يمسك بها بواسطة المنديل ..

وما لبث أن قال :

- هل أنت موقن من ان آدمز قد قتل بهذه الأداة ؟

- كل اليقين ..

وتناول وود (الحربة) بالمنديل واستطرد قائلا :

- انظر إلى النصل كيف يتدرج حتى يصبح مدبباً عند نهـايته . على انه لا يمكن الجزم نهائياً بأن هذا السلاح هو الذي ارتكبت به الجريمة إلى أن يفحص بواسطة المجهر .. واني أراهنك أنهم سيهتدون إذ ذاك إلى آثار دماء بشرية تتخلل جزئيات الصدأ الذي يعلو النصل ، كما يحتمـل كذلك بفحص الجرح أن يعثر به على ذرات من الصدأ ..

ولما رأى وود أن صاحبه قد أخلد إلى الصمت ، نظر اليه مستفسراً وقال يسائله :

- فيم تفكر ؟

فهز تريد كتفيه وقال :

- إن جاك هو الذي عثر بالجثة .

وفي هذه اللحظة ارتفعت أصوات صادرة من الممر ، فقال :

- يجب أن نعيد (الحربة) إلى مكانها .

وتناول تريد السلاح من يد الطبيب ، وتقدم من الباب وأطـــل برأسه فشاهد القوم يقودون الأعور في البهو وهو بينهم حافي القدمين .. بينما وقف روفيير والقاضي يرقبان هذا المشهد عن كثب .

ولما أبصر القاضي بتريد واقفاً و (الحربـة) في يده أدرك الموقف في طرفة عين .

وقال تريد

– إن هذه الحربة ..

فقاطعه روفيير :

– هل هي أداة الجريمة ؟ تعال يا سيدي القاضي ..

وقال الدكتور كوتيه :

– لقد أخبرت هذا الصديق من وقت وجيز ، إنني كنت أظن ان هــذه (الحربة) قد ضاعت ..

فقاطعه روفيير قائلا :

– إن مستر تريد جولد يرى ان هــذا السلاح هو الذي استخـدمه الأعور ..

فقال القاضي :

– نعم .. مما لا ريب فيه ان الجريمة قد ارتكبت بسلاح مثل هذا ! ولكن كيف أعيدت هذه الحربة إلى مكانها يا جوزيف ؟ كيف تعلل هذه الظاهرة ؟

وفي هذه اللحظة تقدم جاك حاملا حقيبة الدكتور وود .

فهرع اليه روفيير وسأله :

– هل أنت الذي عثرت بجثة مستر آدمز ؟

فقال الخادم

– نعم !

– ألم تبصر سلاحا بجانبها ؟

– كلا !

فرفع الوفيير (الحربة) وقال :

– هل شاهدت هذا السلاح من قبل ؟

– كلا !.

– إن الرأي السائد هو أن مستر آدالز قتل بهذا الســلاح ، ولا شك أن

القاتل قد انتزعه من هذه المجموعة الأثرية المعلقة فوق الجدار ، ولم تكن هذه الحربة موجودة في مكانها منذ نصف ساعة فقط .. وقد عثر بها في موضعها منذ لحظة قصيرة ، فكيف تفسر كل هذا ؟

– لا أستطيع ، إني لا أعلم شيئاً .

– والآنسة ؟ هل عثرت بها ؟

– يحتمل ، وعلى أي حال فإن الآنسة لم تخبرني بشيء في هذا الصدد !

ولما رأى الخادم أن القاضي ليست لديه أسئلة أخرى يلقيها قال يحدث الدكتور وود :

– ها هي حقيبتك يا سيدي !

ووضعها على الأرض ثم سار إلى شأنه لا يلوي على شيء

أما روفيير فقد أشار إلى مستر تريد والدكتور وود أن يتبعاه إلى البهو ثم أغلق باب حجرة الاستقبال وقال :

– إن هذا الاكتشاف يتركنا في ظلام دامس ، فما من شك في أن هذا الخادم يموه علينا . ولكن سواء أبعد هو أو الفتاة تلك (الحربة) عن مسرح الجريمة ، فإن هذا لا يهمنا كثيراً !

فسأل تريد

– أتظن أن أحدهما قد أعاد السلاح إلى موضعه ؟

– ومن سواهما يفعل ذلك ؟ ألم يقول كل عليم ببواطن الأمور ان آدمز ومسيو هكتور كانا عدوين لدودين ، لقد كان مسيو هكتور مستيقظاً ومرتدياً ثيابه ، أفلا يستنتج الانسان من هذا أن آدمز قد أقبل عليه ، فوقع بينهما صدام ، فقتل آدمز في أثنائه .

فقال وود ساخراً حينما نقل اليه تريد هذا الكلام بالانجليزية :

– قل له يا تريد ان الشخص الذي قتل آدمز قد أجهز عليه بضربة قاضية . وإذا كان يعتقد أن ذلك الكهل المتهدم هو القاتل ، فإنه يكون

ـأفوناً ولا ريب .

فأجاب روفيير :

ــ نعم إنني أوافقك على ما تقول ، لكنني اتكلم عن الفتاة ، فـأنا على يقين من أنها كانت تعتقد أن جدها هو القاتل ، حتى رأت أخيراً ذلك الحذاء ، فأدركت أنها كانت مخطئة في اعتقادها .. ولا شك أن دفاعهـا عن الأعور ، وحماستها في إعلان براءته ، يؤيد ما أقول من أنها كانت تظن أن جدها هو القاتل ..

ــ وفي هذه الحالة لا يسع أي انسان أن يلومها على رغبتها في التخلص من الحربة أو إخفائها ..

فقال روفيير :

ــ والآن ، إن التحقيق سيبدأ في السـاعـــة العاشرة من صباح اليوم في منزل الدكتور كوتيه ولا شك ان الآنسة سوف تؤدي الشهادة ، والقاضي على استعداد لعدم التعرض للظروف التي ترتب عليها وجود جدهـا هنا ، وذلك من أجل الأسرة والفتـاة نفسها ، وسيقصر دائرة التحقيق على الوقائع المادية التي تتصل بالجريمة ..

فإذا أثرنا قصة (الحربة) وكشفنا عن اختفائها ، ثم العثور عليها ، فلا بد أن يجر الحديث في هذه المسـألة إلى الخوض في تفاصيل هذا النزاع العائلي المحزن وبسطه للعيان .

إننا نعلم ان هذا النزاع لا يتصل بالجريمة من قريب أو بعيد ولست أرى موجباً لاثارته أثناء التحقيق ، أما إذا أراد رجال البوليس أن يحققوا فيـه فيما بعد ، فهذا يعنيهم وحدهم .

وقال تريد

ــ ولكن .. ما قولك في الحلفين ؟ ألا يحتمل أن يثيروا مسألة الجريمة ؟

– سيعرف القاضي كيف يقنعهم ، وسأسوي هذه المسألة معه ، فهل تتفضل أنت وصديقك بعدم الاشارة إلى هذا الأمر ؟

وهنا رأى مستر تريد أن يطلع الطبيب على هذا الرأي فلما استوعبه قال على الفور :

– إنني أوافق كل الموافقة ، فكل ما أبغي هو أن تصان الفتاة مما قد يمسها من هذه القضية !

الفصل الثالث عشر .

بدأ التحقيق الرسمي في غرفة الاستقبال بمنزل قاضي التحقيق ، وأتى الفلاحون يشاهدون إجراءاته ، كما حضر المصطافون زملاء تريد غولد الذين ذكرهم فيما سلف .

وافتتح القاضي إجراءات التحقيق ، وأمسك بالحربة وهي لا تزال ملفوفة في منديل تريد غولد ..

قال مخاطباً المحلفين :

– لعل الذين كانوا يترددون منكم على القصر في عهد مسيو هكتور قد رأوا هذه (الحربة) بين مجموعة الأسلحة الأثرية التي كانت معلقة فوق أحد جدران حجرة الاستقبال .

وإن مظهر الطعنة التي أصيب بها القتيل يشير على انها حصلت بآلة تشبه هذه (الحربة) ..

وفوق ذلك فقد قمت بفحص هذا السلاح بواسطة المجهر ، فشاهدت آثاراً تشبه الدماء حول المقبض ..

لكن الفحص الفني في معامل البوليس ، سيحدد هذه النقطة ، من غير شك ، ولست أنوي ان أقدم هذه (الحربة) الى حضرات المحلفين ، لأنه يتحتم علينا أن نحرص على البصمات ، التي قد تكون موجودة عليها

وهنا تبادل تريد غولد والطبيب وود نظرة ذات معنى فقد وجدا ان روفيير بر بالوعد الذي أخذه على عاتقه ، ولم يثر ظروف العثور على (الحربة) أمام المحلفين ..

واستطرد القاضي يخاطب المحلفين ، وهو يخرج حذاء من صحيفة قديمة ..

- وهذا الحذاء عثر عليه السيدان بوشيرون ولافوامبواز في سقف كوخ ماتياس ، كما سيتضح لكم ذلك من أقوالهما

فنهض أحد المحلفين وتناول الحذاء وراح يتبادل فحصه مع زملائه ، وتابع قاضي التحقيق كلامه قائلا :

– إزاء هذه الأدلة أصدرت أمراً بسجن ماتياس هرتبيس ، وقام العمدة بتنفيذ الأمر .

ونودي على جاك ليجاريه خادم مسيو ريمي ، فقرر رداً على أسئلة القاضي انه التحق بخدمة سيده منذ ثلاثة أعوام ، وشرح كيف عثر على جثة مستر آدمز في القصر .

ثم قال فيما يختص بتردد ماتياس على القصر ، إنه كان يتكفل باحضار الطعام ..

وانه رآه لآخر مرة قبل اكتشاف الجثة حوالي السابعة مساء حين احضر شيئاً من اللبن .

وتلاه الطبيب وود ، فأدلى بأقواله بالانجليزية وقام بنقلها إلى الفرنسية الاستاذ بوشيرون ..

وقرر انه يظن من طبيعة الطعنة التي أصيب بها المجني عليه انها حصلت من (حربة)..

وشرح ظروف وجوده بالقصر ، وأضاف انه أشرف على علاج الشيخ قبل وفاته ، وانه حذر الآنسة من تعريض الجسد لانفعال قد يقضي عليه وختم

شهادته قائلا :

ـ أظن أنه إذا كان شخص في مثل حالة الشيخ قد شهد وقوع الجريمة ، تصادف مروره قرب جثة المغدور ، فإن صدمة كهذه ، لا شك ، تكفي للقضاء عليه .

وقام بعده تريد غولد ، فطلب اليه أولاً ان يصف الحادث الذي وقع بين الضحية وبين ماتياس في المصيف .

فلما فرغ انتقل الى سرد الوقائع التي أعقبت إكتشاف الجثة ، وشرح كيفية العثور على آثار الأقدام ، وكيف انه رآها تمتد من موضع الجثة إلى حافة النافذة .

ونودي أخيراً على الخباز لافوامبواز فقرر انه عثر بالحذاء مخبوءاً فوق سقف الكوخ الذي يقيم به ماتياس .

وهنا ، إعتدل قاضي التحقيق في مجلسه ، وأجال بصره في الحجرة ، ثم قال :

ـ لا شك انكم جميعاً تشاطرونني ما أعرب عنه من صادق العطف لما أصاب الآنسة دي سان ريمي في شخص جدهـــا . وقد تفضلت فحضرت الى هنا بناء على طلبي .

وهي على استعداد لأن تجيب على ما توجهونه اليها من الأسئلة التي لا تخرج عن نطاق هذا التحقيق الذي نباشره الآن .

على انني أحب ان الفت أنظاركم الى ان شهادتها لن تؤثر تأثيراً قوياً في موضوع التحقيق ، لأنها كانت نائمة في حجرتها بالقصر ، حين حصول الجريمة .

وهنا راح الحاضرون يتهامسون فيما بينهم .

وتابع القاضي كلامه :

ـ وإن الواجب يحتم عــلي في هذه الظروف التي بسطتها ، ان أحترم

حزن الآنسة ..

ثم نهض أحد المحلفين ويدعى أرسليديلتيير وصاح قائلا :

– إني لا أوافق على هذا الرأي .. فإنه يلوح مما سمعناه منك الآن ، ومن الشهود ان الآنسة كانت أول من طاف بالقصر بعد حصول الجريمة . اني أطلب أن تسمع شهادتها ..

فوافق المحلفون على كلامه .

وهتف بعض الحضور .

فدق القاضي الطاولة بقبضة يده وصاح :

– صمتاً ..

وصوب نظره الى حيث كان روفيير فهز كتفيه ..

وما لبث القاضي ، ان استسلم للامر الواقع . فالتفت الى الفتاة وقال لها :

– أرجو ان تتقدمي وتقسمي اليمين .

فنهضت الفتاة على الفور وتقدمت متمهلة ، بينما ساد الحجرة سكون عميق ..

وحلفت الفتاة اليمين القانونية .

وذكرت ان اسمها ادريين ستيفاني دي سان ريمي ، وانها في الحادية والعشرين من عمرها .

فسألها القاضي :

– كم يوماً مضى عليك في القصر انت وجدك والخادم ؟

– إننا أتينا ليلة الاثنين .

– لقد أصيب جدك ، أمس الأول ، بنوبة قلبية حادة ؛ ظل على أثرها طريح الفراش . ولما تركته في الليلة الماضية ؛ وقصدت إلى غرفتك ، لكي تنامي ، كان ما يزال طريح الفراش ، فكم كانت الساعة

حينذاك ؟

- بعد الثامنة بقليل .

- هل لك ان تقصي علينا ما حصل بعد ذلك ؟

- لقد تمددت في الفراش بملابسي ، ولم اكن أنوي ان أنام !. ولكنني كنت قد أمضيت الليلة السابقة ساهرة بجوار جدي ؛ فغلبني النعاس !. ثم استيقظت وقد خيل إلي اني سمعت صرخة ، وكان من الطبيعي ان أظن أن جدي يناديني .. ولذلك هرعت الى غرفته .

فقال أحد الحلفين :

- وكم كانت الساعة حينذاك ؟

-- بعد الحادية عشرة ببضع دقائق .

ولما رأى القاضي انها باتت في حالة عصبية ، ولم تستطع ان تتم حديثها من فرط الانفعال .

فتقدم لمعاونتها وقال :

- عند ذلك لم تشاهدي جدك في حجرة نومه ، فذهبت الى حجرة الجلوس حيث اعتدتما ان تتناولا الطعام ، وهناك عثرت عليه مرتدياً ثيابه وغائباً عن صوابه ، أليس كذلك ؟

فأومأت الفتاة برأسها موافقة .

فتابع القاضي :

- أخبري السادة الحلفين ماذا حصل بعد ذلك .

- لما رأيت انه لا يفيق .. ذهبت الى جاك وأيقظته ، ثم تعاونا على حمله الى غرفته .. وبعد ذلك أرسلت جاك الى المصيف لاستقدام الدكتور وود !

فسأل القاضي :

- هناك نقطة واحدة أخرى ، يا آنسة .. هل تعرفين المتهم

ماتياس ؟

– نعم !

– هل كان من عادته ان يطوف حول القصر ليلا ؟

فترددت قليلا ثم أجابت :

– نعم !

– في كل وقت ؟

– نعم !

– حينما رأيت جدك مغمى عليه ، ألم تسمعي صوتاً ما في القصر ، أو فيما حوله ؟

– كلا !

– ألم تشاهدي أحداً ؟

– كلا !

– هل كنت نائمة طوال الفترة بين الساعة الثامنة والحادية عشرة ، أو بعدها بقليل ؟

– نعم .

– وعلى ذلك لم تسمعي آدمز أو القاتل حينما وصلا ؟

– كلا .

وهنا نهض المحلف بلتيير واستأذن القاضي في أن يطرح سؤالا على الفتاة ، فلما أذن له قال :

– أين كان جدك بالضبط وهو منطرح على الأرض ، حينما دخلت إلى حجرة الجلوس ؟

فترددت الفتاة قليلا ، ثم أجابت في صوت خافت :

– الواقع انني عثرت عليه ممدداً في البهو .

عند ذلك كرر القاضي عبارتها في صوت حاد قائلا :

ـ في البهو ؟. لقد فهمت من الطبيب .
واتجه ببصره إلى ناحية وورد .
فقالت الفتاة في لهجة عصبية .
ـ أخشى ان أقول انني قد أفهمت الطبيب خطأ ، عن غير قصد .. فإنني كنت منزعجة حينما رأيت جدي على تلك الحال، ولم أكن أعي ما أقول. على اني حينما ثبت إلى رشدي بعد ذلك وفكرت في الأمر ..

فقال المحلف بلتيير :
ـ أرجو ان تتفضل الآنسة بالإجابة على سؤالي .. أين كان جدك ممدداً حينما عثرت عليه ؟
فجعلت الفتاة تتلفت حولها في شيء من القنوط . ثم أجابت قائلة :
ـ إنه لم يكن ممدداً .. بل كان واقفاً ؟

فسأل القاضي في دهشة :
ـ كان واقفاً ؟ أين ؟
ـ كان واقفاً خارج باب حجرة الاستقبال ، يئن ويقبض بيده على صدره ! ولما دنوت منه . هوى بين ذراعي !. وبعد ذلك حملته إلى غرفة الطعام . حيث تركت الشمعة .
فسأل القاضي :
ـ وهل ذكر شيئاً ؟
ـ لقد أغمي عليه على الأثر .. ثم تركته وذهبت للبحث عن جاك .
واستأنف بلتيير أسئلته فقال :
ـ وهل كان باب غرفة الاستقبال مفتوحاً او مغلقاً ؟

ـ انني لم القِ بالي على ذلك .. في تلك الظروف .
ـ ماذا تعنين بقولك (في تلك الظروف) ؟
ـ لما ذهب جاك لاستدعاء الطبيب ، وجدت ان الاقراص المسكنة

التي يتعاطاها جدي بقيت في حجرة الطعام .. فذهبت لإحضـــارها . وحينئذ رأيت ضوءاً ينبعث من حجرة الاستقبال .. ولا بد ان هذا الضوء كان هناك طول تلك المدة !.

ولكني لم أفطن اليه لما استولى علي من اضطراب لدى رؤية جدي على تلك الحال .

على اني تقدمت في البهو وشاهدت باب غرفة الجلوس مفتوحاً قليلا .

فدفعت أحد مصراعيه .. وهناك وقع بصري على شخص ممدد فوق الأرض بجانب المصباح !

وكان هذا الشخص هو جريون آدمز .

– هل عرفته إذ ذاك ؟

فأومأت برأسها إيجاباً وقالت :

– لقد رأيت انه فارق الحياة .. ولم يكن بوسعي ان أفعــــل شيئاً من أجله .. ثم ان جدي كان مغمى عليه في حجرته .. وكان كل همي موجهاً إلى العمل على إعادته إلى رشده ..

ثم أقبل الطبيب ، ووصل بعده القس .. وقرر الطبيب ان جدي قد فارق الحياة .. ولما تذكرت بعد ذلك ما حصل لآدمز ، كان جاك قد اهتدى اليه .

ولاحظ تريد غولد ان الفتاة قد أنكرت أمامه معرفتها بوجود القتيل ولم تصرح بهذه الحقيقة إلا الآن أمام الحاضرين . ولا شك ان هذا يؤيد رأي روفيير في أنها كانت تعتقد أن جدها هو الذي قتل آدمز . ولذا لم تشأ أن تشير بشيء إلى ذلك ..

نهض روفيير وقال :

– أرجو ان يسمح لي سيدي القاضي بكلمة ..

فساد القاعة سكون تام وشخصت الأبصار الى العمدة ، فقال وهو يشير

إلى المحلف إشارة ودية .

– إن ما أريد ان أقرره ، هو ان صديقي أرستيد قد استطاع بأسئلته وبما أبدته الآنسة من الصراحة التامة في الإجابة عليها ، أن يقرر مسألة على جانب عظيم من الأهمية .. شكراً للاخ بلتيير .. فنحن نعلم الآن ان ادمز كان قد قتل بعد الساعة الحادية عشرة مساء ، وهو الوقت الذي وجدت فيه الآنسة جدها مغشياً عليه .

وابتسم روفيير للمحلف وقال :

– اليس هذا ما كنت تبغي الوقوف عليه ، من أسئلتك ، يا مسيو بلتيير ؟.

فاغتبط المحلف بهذه اللهجة ، وابتسم للعمدة ابتسامة العارف بقدر نفسه ، ثم استقر في مقعده .

ودهش تريد غولد ، من مقدرة روفيير وبراعته ، في التأثير على المحلفين !.

ولا شك انه كان أدرى الناس بنفسية أهل قريته وأطوارهم .. كما لا شك انه قد بر بوعده بحماية الفتاة والدفاع عنها .

وما لبث المحلفون ان فرغوا من مداولتهم ..

ووقف بلتيير ونطق برأي المحلفين ، فإذا هو يعتبر القضية قتل عمد ضد ماتياس هرتيبس

* * *

وعندما انصرف تريد غولد أجال الطرف حوله ، باحثاً عن صديقه الدكتور وود ، ولكنه لم يقع له على أثر . فقصد بمفرده الى المصيف ، ولم

يكد يصل الى (الجراج) ، حتى رأى تيسيران منطلقاً ، وبيده أدوات الصيد ..

قال تيسيران :

- لقد أثبت عمدة سان فلورنتين انه على جانب عظيم من البراعة ، فقد وضع يده على عنق القاتل !. وأظن انه سيشنق قبل ان يصل رجال بوليس كويبك

- أنا لا أعرف شيئاً من إجراءات البوليس في هذه البلاد . فهل رجال البوليس عندكم على شيء من المهارة ؟

- إنهم لا يجدون في كويبك مثل الفرصة التي يجدهـــا افراد البوليس عندكم في نيويورك .. حيث ميدان الجرائم فسيح .. ولكني أعرف واحداً او اثنين من افراد البوليس عندنا على قدر عظيم من الذكاء . وأخص بالذكر مسيو بيجوري . فهو شخص واسع المعرفة يجيد الانجليزية والفرنسية وقد كان هو الذي انتدب للتحقيق بجريمة مقتل حارس الطاحون وهو الذي كان سبباً في براءة الأعور .

فأطرق تريد برأسه مفكراً ثم قال :

- من يدري فقد يكون الأعور بريئاً هذه المرة كذلك .

اني أظن ان هذا المتهم يستطيع ان يثبت وجوده في مكان اخر في الوقت الذي وقعت فيه الجريمة .

- وكيف ذلك ؟

- إنه كان ثملا .. ومن المؤكد انه شرب خمراً كثيراً في الحانة التي يديرها سراً المدعو (ليرميت) وهـو من أكبر وأبرع مهربي الخمور هنـا . وفي اعتقادي ان الأعور اراد ان يتستر على هذا المهرب لسبب ما .. أو . ولكن ما هذا ؟

وأشار الى طائرة مائية في الجو ، أخذت تهبط بالتدريج حتى استقرت على

سطح البحيرة .

وما ان هبـط ركاب الطائرة ، ورآهم تيسيران ، حتى صاح بصوت مرتفع :

. آه ! هوذا صديقي بيجوري !. ومن هذا أيضاً ؟ الدكتور بيرونو . الطبيب الشرعي لقد أتيا ، ولا شك للتحقيق في حادث مقتل مستر آدمز . إنهما صديقاي ياعزيزي تريد !. دعني أقدمك اليهما !. ولا شك أن ميولك الى الأبحاث الجنائية ستوثق أواصر الصداقـــة بينك وبينهما !. وأنت ، فضلا عن ذلك ، تملك سيارة فاخرة .. ولا شك انهما سيحتاجان اليها في تنقلاتهما .

الفصل الرابع عشر

أوقف الدكتور وود سيارته في بقعة هادئة من الغابة تغطيها الحشائش الخضراء والتفت إلى أدريين وقال :

– الآن قد انفذنا القسم الأول من العلاج الذي قررته لك ، فتنسمت الهواء الطليق ، أما القسم الثاني فيتخلص في ان نجلس هنا على الحشائش وندخن لفافة تبغ ، فالتدخين يهدىء أعصابك ويفيدك بعد هذه الحوادث المزعجة !

وكان الدكتور وود قد فهم من حديث دار بين الفتاة والقس عقب التحقيق ان جثة مسيو هكتور دي سان ريمي قد نقلت الى الكنيسة تمهيداً لدفنها .

وان الفتاة ستقيم في الدير مؤقتاً ، حتى تحزم أمرها بشأن المستقبل !

وقد طلبت الفتاة إلى القس ان يسمح لها بالعودة إلى القصر لاعداد أمتعتها وحقائبها استعداداً للانتقال إلى الدير .

فانتهز (وود) الفرصة .

واقترح على الفتاة أن يذهب بها إلى القصر في سيارته ، فوافقت أدريين على هذا الاقتراح .

ومـــا أن ابتعدت السيارة بالشابين حتى التفت ورد الى الفتاة وقال لها :

- إن هذه الحوادث المحزنة قد أثرت على أعصابك وصحتك وأعتقد ان جولة في الهواء الطلق تفيدك ، فهل تسمحين بأن أرتاد بك في السيارة بعض مسالك الغابة قبل أن ننطلق إلى القصر ؟

فوافقت الفتاة في الحال .

وراقه منها بساطتها وصراحتها .

وقطعت بهما السيارة شوطاً كبيراً .

ثم أوقفها الطبيب في تلك البقعة المزدهرة بالحشائش ، فجلس مع الفتاة على جذع إحدى الأشجار !

وقدم اليها لفافة تبغ فتناولتها في غير تردد .

ثم سألت صاحبها فجأة وهي ترقب سحب الدخان المتصاعـدة من لفافتها :

- هل تقيم دائماً في نيويورك يا دكتور ؟

- نعم ، فهل تعرفين هذه المدينة ؟

- كلا .. ولكن أود لو تتاح لي الفرصة فسأزورهـا . إنني أحب المدن الكبيرة .. ولا أعرف كيف سأقضي الأيام المقبلة في الدير كما اقترح القس ..

- هل أمضيت مدة طويلة في باريس ؟

- إنني أقيم فيها منذ أربعة أعوام . أي منذ بلغت السابعة عشرة من عمري ، وكنت عندما فقدت أبي وأمي أتأهب لدراسة الفنون ، فرحلت من لندن إلى باريس .. ولما غرق والداي في حادث التصادم ، كتب إلي جدي يدعوني إلى الاقامة معه في كندا ، ولكني آثرت البقاء في باريس ، فأوقف علي مرتباً شهرياً ، وبعد عام واحد لحق بي جدي

إلى هناك !

– هل كنت تؤدين عملا ما في باريس ؟

– كنت أشتغل بوضع رسوم الأزياء لبعض المخازن الكبرى .

– ولكن ما سر الخلاف الذي حصل بين جدك ومستر آدمز ؟

– لو أنك عرفت جدي وعاشرته ، لأستنكرت التهمة التي كان آدمز ينسبها اليه ، فجدي لم يأكل أموال شقيقته (أنيتا) ، وكل مـــا في الأمر إنه لم يكن شخصاً عمليـاً ، فلم يستطع إدارة أملاك أبيـه كما يجب ..

ولقد شجر الخلاف بين جدي وآدمز مرتين ، الأولى في هذا القصر وكان السبب تباين ارائهما السياسية .

وقد احتد جدي عليه فطرده من القصر شر طردة .. وكان ذلك هو في الواقع السبب الرئيسي في حنق ادمز ، فأراد أن ينتقم لنفسه بتشويه سمعة جدي !

ثم وقع بينهما خلاف اخر في باريس ، وفي هذه المرة هدد جدي خصمه بالقتل !

– وكيف علمت بذلك ؟

– كنت هناك ، وقد لحق بنا آدمز إلى باريس ، وعرض على جـــدي اقتراحاً ..

– أي اقتراح ؟

– عرض عليه أن يقترن بي

فهتف الشاب في ذعر

– ماذا تقولين ؟

فابتسمت الفتاة وتابعت :

- هذه هي الحقيقة ، انه عرض الأمر علي أولاً ، وقـــال لي أنه على استعداد لأن ينسى الماضي ويعود بنا جميعاً إلى القصر إذا أنا قبلت الاقتران به .. بل وعرض أكثر من ذلك انه على استعداد لأن يمنح والدي مرتباً شهرياً ثابتاً إذا أراد الاقامة وحده في مونتريال أو كويبك .

- وماذا كان ردك ؟

- طلبت اليه أن يعرض الاقتراح على جـدي ، ولكنه لم يكد يسمع اقتراحه حتى ثارت ثائرته ، ووثب إلى مسدسه وأمر آدمز بأن ينصرف في الحال إذا لم يشأ أن يموت قتيلاً .

- وماذا فعل آدمز ؟

- انصرف في الحال .. لأنه لم يكن على شيء من الشجاعة .

- مسكينة أنت . لقد مرت بك في هذين اليومين ساعات عصيبة ولكن ما قولك في أن تقيمي في المصيف عوضاً عن الدير ؟ إنك في أشد الحاجة إلى الترفيه عن نفسك بعد هذه الحوادث ؟

وقد أصاب هذا الاقتراح هوى في نفس الفتاة .

فأجابت :

- ولكن ماذا يقول الناس إذا أقمت في مصيف لا يقيم فيـه غير هواة الصيد من الرجال ؟

- من قال لك ذلك ! إن بالمصيف أكثر من سيدة ..

فصمتت الفتاة !.

ونظر اليها الشاب مستعطفاً وسألها :

- إذا وافقت على هذا الاقتراح ، فإننا نتصل بالقس وننبئه بأنك عدلت عن الاقامة في الدير .

فنظرت اليه بعينين صافيتين ..

ثم سألته :

– ولكن ، لماذا تفعل كل ذلك من أجلي .

فاضطرب !

ثم قال بلسان يتلعثم :

– لأنني أشعر بأنك يجب أن تكوني أسعد مما أنت الآن .

فابتسمت وأجابت :

– إذا كان ذلك كذلك فإني أوافق على اقتراحك .

الفصل الخامس عشر

دخل الطبيب والفتاة القصر ، وراح الأول يتفقد الغرف باحثـــاً عن (جاك) ظناً منه انه عاد من منزل قاضي التحقيق ، ولكنه لم يقع له على أثر !

وشرعت الفتاة في إعداد أمتعتها وحقائبها ..

ووقع بصرها وهي تفعل ذلك على حافظة كانت قد وجدتها في الليـلة السابقة في ثوب جدها بعد وفاته .. ووضعتها بين الأمتعـة دون أن تعلق عليها شيئاً من الأهمية .

أبصرت بالحافظة .. ووجـدت أن الوقت يسمح لهـــا بفحص محتوياتها !

فأخرجت منها بعض أوراق عادية تصفحتها بسرعة !

وإنها تفعل ذلك إذا برسالة تسقط من بين الأوراق فتناولتها، وقلبتها بين أصابعها فلقيتها مغلقة .

وقرأت على غلافها هذه الكلمات :

(إلى أدريين بعد موتي)

عرفت الفتاة خط جدها !

ففضت الرسالة بسرعة ، فلقيتها مكتوبة باللغة الفرنسية ، فقرأتها باهتمام

وكان الدكتور وودير قبها وهي تفعل ذلك، فرأى على وجهها علامات التفكير العميق .

سألها :

– ما هذه الرسالة ؟

– إنها رسالة كتبها لي جدي قبل وفاته ، وقد كتبها باللغة الفرنسية ، وأنت لا تفهم هذه اللغة ، فدعني الخص لك مضمونها .

انه يقول في هذه الرسالة انه كان دائماً شديد الاهتمام بضمان مستقبلي ، وانه لذلك لم يبع جميع مخلفات آبائه كما يعتقد الجميع ، بل احتفظ منها بتحف اثرية ، بعضها من الذهب وبعضها الآخر من الفضة ، ولكنها جميعاً ذات قيمة كبيرة ، لأنها هدايا من ملوك فرنسا إلى أسلافنا ..

وهو يقول انه خبأ هذه التحف الثمينة في الغرفة الزجاجية التي بالطابق الثاني ..

وهي غرفة كان قد أعدها لتكون مرسماً ، ويؤكد انه اخفى هذا الكنز المالي في أرض الغرفة تحت دولاب خشبي هناك ، فما قولك في هذا ؟

– إذا كان ذلك صحيحاً ففي استطاعتنا البحث عن هذه التحف الآن ! أين السلم المؤدية إلى الغرفة الزجاجية .

وتأبط ساعدها . وانطلقا معاً إلى حيث كانت السلم ، فارتقياها بسرعة ودخلا الحجرة ، وكانت الأتربة قد تراكمت على سقفها الزجاجي فحجبت عنها ضوء الشمس .

ولكن الشابين لم يجدا صعوبة في رؤية الدولاب الذي تحدث عنه الشبح في رسالته إلى حفيدته .

وتقدم الطبيب ففتح إحدى النوافذ القريبة من الدولاب .

وقالت الفتاة :

– يقول جدي انه اخفى التحف الأثرية في أرض الغرفة تحت الدولاب ، فهل تزحزح الدولاب ؟

– لا أظن أن ذلك في استطاعتنا ، ولكن صبراً ، لنفتح الدولاب أولاً ، فربما وجدنا في قاعدته ثغرة ترشدنا إلى مخبأ التحف .

قال ذلك وانحنى ليفتح الدولاب .

ولكنه ما كاد يفعل ذلك ، حتى سمع صيحة رعب وفزع تفلت من فم الفتاة .

ذعر الطبيب الشاب ورفع رأسه ليرى ما الخبر ، ولكنه شعر فجأة بأداة ثقيلة تصيب رأسه .

أحس بدوار وسقط على الأرض ولم يستطع حراكاً .

وعندما استرد رشده وملك نفسه بعد بضع دقائق لم ير الفتاة ، فنهض واقفاً وراح يصيح :

– أدريين ! أدريين ! أين أنت ؟

فسمع صوتاً صادراً من أسفل السلم .

كانت تصيح :

– هأنذا ، ساعود اليك !

وما هي إلا لحظة ، حتى لحقت به وهي شاحبة اللون مرتجفة الأوصال .

أحاطت رأسه بكفيها وهتفت في خوف :

– هل أصابك سوء ؟ لقد خفت أن تكون قتلت فهربت ولكن يا لله ، إن الدم يسيل من رأسك .

– اطمئني ، فالاصابة سطحية ، ولكن حدثيني ماذا حدث بالضبط .

– لا أعلم ، لا أعلم ، كل ما هناك اني رأيت يداً تمتد من النافذة التي فتحتها وكانت ممسكة بشيء خيل الي انه شمعدان قديم ، فاستولى علي

الفزع : وصرخت خوفاً ، ولكن اليد هوت بالشمعدان فأصابت رأسك !
ألم يقع بصرك على صاحب هذه اليد !
— اني لم أتبين وجهه ، بل ولم أر رأسه .

وهنا وقع بصر الطبيب على شيء ملقى على الأرض ، ولم يكن قد رآه قبلا ، فتناوله فإذا هو حقيبة صغيرة من القماش
فابتسم وقال :
— هذا هو السر في انك لم تتبيني وجهه ، انه اخفى رأسه تحت هـذه الحقيبة .

وطوى الحقيبة ووضعها في جيبه ، ثم انطلق الى باب الغرفـــة وأرهف السمع جيداً .
ولكنه لم يسمع أي صوت يدل على أن هناك شخصاً يبتعد ، فعاد أدراجه وركع أمام الدولاب وفتح بابه ! وتلمس قاعدته . .
ثم هتف :
— لقد صدق ظني ، إن للدولاب قاعدة متحركة .
وحرك قاعدة الدوب ، ودس يده في الفجوة التي تكشفت عنها القاعدة ، ثم نظر إلى الفتاة وقال وعلى وجهه دلائل الحيرة .

— لقد سبقنا بعضهم إلى هذا المخبأ وحمل التحف !
— ماذا تقول !
— انني توقعت ذلك عندما أصابتني الضربة من ذلك الغريم المجهول .
والآن هلمي بنا ، أعدي حقائبك ولننطلق إلى المصيف .
وقصدا الى الغرفة التي تركت فيها الفتاة أمتعتها !

ولكنهما ما كادا يدخلانها حتى سمعا صوت سيارة تقترب !
فانطلقا الى الباب الخارجي ووقفا في انتظار قدوم السيارة ، ولكنهما سمعا فجأة وقع اقدام تدب خلفهما .

فتحولا إلى الوراء وأبصرا بالأستاذ بوشيرون مسجل العقود وكان لتوه خارجاً من إحدى الغرف .

دهش الشابان . وتبادلا نظرة ذات معنى ، وقالت أدريين أخيراً وهي تصمد مسجل العقود بعينيها :

— هل دخلت القصر منذ زمن طويل يا مسيو بوشيرون .

فرد بصوت هادىء رزين :

— لقد كنت أسير على ضفة الغدير بجانب القصر ، فتذكرت أن حارس المصيف انبئني بأن أحد مفتشي البوليس أتى خصيصاً من (كوبيك) لتحقيق حادث مصرع مستر آدمز ، ولما كنت واثقاً من انه سيحضر إلى القصر في الحال لمعاينة مكان الجريمة ، وانه لا بد سيحتاج إلى سماع اقوالي ، لذلك فكرت في أن ..

وقبل ان يتم كلامه ، وصلت السيارة إلى باب القصر ، ووثب منها مسيو روفيير العمدة .

قال روفيير محدثاً المسجل ·

— هل حضر مفتش البوليس

— كلا ، لم يحضر بعد ، ولكن كيف علمت بمجيئه ؟

— إن الاشاعات تترامى بسرعة البرق ، والانسان لا يصم اذنيه .

وشد روفيير على يد الطبيب والفتاة وسألها ·

— هل علمتما بمجيء مفتش البوليس ؟

فرد وود :

— إننا سمعنا هذا النبأ في التو واللحظة ، ولكننا لسنا بحاجة إلى انتظاره .

ثم تحول إلى الفتاة وقال لها :

— هلمي بنا ، هل أعددت حقائبك ؟

فسأل المسجل :

– أين تريدين الذهاب مع الطبيب يا آنسة ؟

– لقد تفضل الدكتور وود ودعاني إلى الاقامة في المصيف .

– إذا أردت رأيي فاني اقترح عليك تأجيل الرحيل الآن ، حتى يحضر مفتش البوليس ، إذ لا شك انه سيضطر إلى سؤالك ..

فقاطعته في غضب :

– إنني لست بحاجة إلى رأيك يا مسيو بوشيرون ، فاحتفظ بنصائحك لنفسك .

الفصل السادس عشر

تخلف الدكتور بيرونو في المصيف وانطلق بيجوري مع تريد غولد بسيارة هذا الأخير في الطريق إلى القصر .

وساد الصمت بينهما أول الأمر إلى أن بدأ تريد الحديث بقوله :

– اظن ان هذه ليست أول مرة تزور فيها هذه الناحية ، فقد قيل لي انك جئت قبل الان للتحقيق في حادث مصرع حارس الطاحون ، وكان المتهم في هذا الحادث هو بعينه ماتياس الأعور ، الذي يتهمونه الآن بقتل مستر آدمز .

– هذا صحيح ، ولكني وجدت أن الأدلة ليست كافية رغم إصرار العمدة على إتهام ماتياس . .

وصمت بيجور لحظة ثم عاد فاستطرد :

– لقد أنبأني صديقي تيسيران انك الذي جمعت الأدلة ضد الأعور .

– هذا صحيح للأسف الشديد .

– ولماذا الأسف ؟

- الواقع اني من هواة الأبحاث الجنائية ، وقد وضعت نصب عيني منذ البداية ان الأعور هو المجرم ، وشرعت أجمع الأدلة على هذا الاعتبار ، فلم يكلف العمدة وقاضي التحقيق نفسيهما مؤونة مناقشتي ، وأمرا بالقاء القبض

على الأعور .

– وهل حدث ما يحملك على ترجيح براءة المتهم ؟

فصمت تريد لحظة ثم سأل :

– هل ذكر لك تيسيران جميع أدلة الادانة ؟

– نعم !

– وهل حدثك بحكاية القدم التي وجد أثرها الدامي بالقرب من الجثة ؟

– نعم !

– هل تظن ان الانسان إذا وطأ بقدمه دماً سائلاً ترك حذاؤه أثراً واضحاً وسط الدم السائل ؟

فتحول اليه بيجوري بحدة وهتف

– آه ، هذه ملاحظة على جانب عظيم من الأهمية .

فاستطرد تريد :

– كان من المستحيل أن يصل آدمز إلى القصر بعد الساعة العاشرة والدقيقة ٤٥ ، لأن الأمطار بدأت تهطل في ذلك الحين ، وقد وجدنا ثيابه جافة ، وحذاءه نظيفاً ، مما يدل على انه لم يكن في الخلاء عند هطول الأمطار . هذا وقررت الفتاة أثناء التحقيق أن آدمز كان ميتاً فعلاً في الساعة الحادية عشر ، او بعد ذلك بدقائق ، فاذا فرضنا أنها عثرت بالجثة بعد الوفاة بعشرين دقيقة مثلاً ، فهل يجوز لنا ان نظن بأن هذه الدقائق كافية لأن يتجمد الدم في خلالها بحيث يحفظ أثر القدم ؟

– كلا !

– إن وجود دماء على حذاء الأعور ، ووجود أثر قدمه بجانب الجثة ، يدل على انه زار مكان الجريمة فعلاً ، ولكن الزيارة كانت بعد ارتكاب الجريمة بل وبعد ان أخذت الفتاة جدها إلى فراشه .

وكان الأعور ثملاً ، والمؤكد ان منظر القتيل اوقع الذعر في قلبه ،

وأفقده صوابه ، فهرول إلى غرفة الطعام ، ووثب من نافذتها إلى الخــارج ، بعد أن ترك آثار قدميه على طول الطريق ، وعلى حافة النافذة ، ولما رأى نفسه في الخلاء أطلق ساقيه للريح ، وذهب إلى كوخه حيث ظـل حتى القي القبض عليه .

وثمة أمر آخر .. فأنا أظن أن الأعور يستطيع أن يثبت انه كان في مكان اخر بعيد عن القصر في نفس الساعة التي ارتكبت فيه الجريمة .

إن الأعور يعترف بأنه اسرف في الشراب ، ولكنه لم يذكر أين تنــاول الخمر التي اثملته ، ولكني علمت ان في القرية مكانـــاً للمشروبات الروحية التي يحرمها القانون يديره شخص يدعى (ليرميت) .

– هل تظن انه لزم الصمت ، ولم يذكر أين كان حين ارتكاب الجريمة ، لكيلا يورط (ليرميت) ويثبت خروجه على القانون ؟

– ذلك هو رأيي .

– وهل تظن ان الأعور يرضى بأن يضحي بحياته لمصلحة (ليرميت) ؟

– أنا أظن ان الأعور في حالة ذعر وفزع شديدين .

– وإذا كان حقاً لم يقتل ، فلماذا لا يذكر ذلك صراحة

- الجواب على ذلك سهل بسيط ، فالأعور هو ابن أحد مستأجري أملاك أسرة سان ريمي ، فإذا كان قد قبل أن يحتمل مسؤولية الجريمة فانه يكون قد فعل ذلك ظناً منه بأن الشيخ أو الفتاة او كليهما ارتكبا الجريمة ، فأراد أن يدفع عنهما التهمة بتضحية نفسه .

– ولكن إذا افترضنا ان الأعور بريء فمن يكون المجرم إذن ؟

– إذا كان الأعور بريئاً ، فان الجريمة تكون من أعقد الجرائم .

. ان في هذه الجريمة بعض نواح لا أستطيع إلى فهمها سبيلا ، من ذلك مسألة الحربة ، ومن الذي وجدها ؟

– من الواضح الجلي ان احد شخصين كان أول من عثر بالجثة ، وهذان

الشخصان هما جاك والفتاة .

ومعنى ذلك ان أحد هذين لا بد أن يكون قد عثر بالحربة ، فانطلق بها ، وأزال أثر الدماء عن نصلها ، ثم ردها إلى موضعها .

- على اعتقـــاد أن مسيو هكتور دي سان ريمي هو الذي ارتكب الجريمة .. وان الواجب يفرض باقصاء هـــذه التهمة عنه حرصاً على سمعته ؟

- هذا الفرض ينصب على الفتاة دون الخادم ، لأن هذا الأخـير لا بد كان يعلم أن مولاه من الضعف بحيث لا يستطيع أن يطعن آدمز طعنـة قاتلة .. ولذلك يحتمل أن تكون الفتاة قد توهمت أن جدهـا هو الذي ارتكب الجريمة ، وان يكون الخادم قـد ظن أن الفتـــاة هي التي ارتكبتها .

وهنا نظر بيجوري إلى محدثه في فضول وسأله :

- هل أنت من هواة الأبحاث الجنائية ؟

- نعم !

- إذا طلب اليك تحقيق هذه الجريمة ، فمن أية ناحية تبدأ ؟

فأطرق تريد برأسه ..

ثم قال :

- إنني أبدأ بالبحث عن أجوبة ثلاثة أسئلة .

- ما هي ؟

- الأول ، لماذا قدم مستر آدمز إلى سان فلورنتين ؟

- ألا تظن انه أتى لمجرد الترفيه عن النفس بصيد السمك ؟

- إذا صح ذلك كانت المصادفة عجيبة . وأنا لا أريد أن أقيم وزنـاً للمصادفات .

- وما هو السؤال الثاني ؟

– كيف وصل آدمز الى غرفة الجلوس ؟

– هل كونت رأياً في ذلك ؟

– كلا !

– والسؤال الأخير ؟

– من ذا الذي يحتذي نعلاً من المطاط في ليلة الجريمة

– وما الغرض من هذا السؤال ؟

– صبراً حتى نصل الى القصر . فهناك أستطيع أن أوضح لك الغرض . .

الفصل السابع عشر

وعندما وصل الرجلان الى القصر ، عثرا ببابه سيارة ..

قال تريد غويد عندما رآها :

– هذه سيارة العمدة .

فسأل بيجوري :

– ماذا أتى يفعل هنا ؟

لا بد انه علم بمجيئك فسبقك الى هنا ، ولكن دعني أدلك على الآثار التي وقعت عليها قبل أن تقابل العمدة أو سواه ..

ثم قصد به الى الطعام ، ودله على الأثر الذي تركه الأعور على قاعدة النافذة ، ثم أطل من النافذة وأشار الى أثر حذاء ظل ظاهراً في الأوحال وقال :

– هوذا الأثر لذي حدثتك عنه ، انظر الى الثقوب الصغيرة ، إنها تدل على أن الحذاء من المطاط .

– وهل هناك أثر أقدام أخرى ؟

– كلا . وأنا أظن أن الاعور فر من النافذة ، ولكنه اتى من مكان آخر .

– من المؤكد أن شريداً مثل الأعور لا ينتعل حذاءين ، أحدهما من

المطاط .

ثم رافق تريد المفتش الى مدخل القصر ، وأشار الى لطخة في الأرض لم يدركها ماء المطر وقال :

- تأمل الارض حول هذه اللطخة ، إنها موحلة من تأثير الأمطار .

- وما السر في جفاف هذه اللطخة ؟

- لا شك أن سيارة وقفت هنا طيلة المدة التي استمر فيها هطول المطر .

- آه ، هذا صحيح ، ومتى بدأ هطول المطر ؟

- بدأ في الساعة العاشرة والدقيقة ٤٥ وانتهى في الساعة الحادية عشرة ، ولم تمطر السماء بعد ذلك .

- وماذا تفهم من كل هذا ؟

- الذي أفهمه ، أن صاحب السيارة ، أو الشخص الذي ترك سيارته هنا في أبان هطول المطر ، قد وصل الى القصر في مثل الوقت الذي وصل فيه مستر آدمز .

- ومعنى ذلك ان صاحب السيارة هو المجرم ؟

- ذلك ما يتراءى لي .

ففحص بيجوري الآثار التي تركتها إطارات السيارة التي يزعم تريد انها سيارة المجرم ، ثم قال :

- إن اطار السيارة من النوع المسطح الحافة كاطار هذه السيارة .

واشار الى السيارة التي رآها بالباب والتي كان يظنها سيارة العمدة وسأله:

- سيارة من هذه ؟

فاقترب تريد من السيارة ومس بعض أجزائها ثم قال :

- لا أعلم ، ولكن يلوح لي أنها هنا منذ مدة طويلة ، فإن محركها بارد وكذلك جميع أطرافها .

فنظر بيجوري الى داخل السيارة ووجد حافظة أوراق كبيرة فتناولها

وتناول من بين محتوياتها غلافاً قرأ عليه هذا العنوان :

« مسيو مارسيل بوشيرون ، مسجل عقود » .

قال ·

– بوشيرون ! أنا أعرف صاحب هـذا الاسم ، انه محامي اسرة سان ريمي ، اليس كذلك ! اذن فهو موجود بالقصر الآن ..

وصمت لحظة ثم استطرد :

– هل تظن انه الذي جاء الى القصر بسيارته ليلاً !

– لا أعلم ، ولكنه قرر انه عاد من (تروا بون) في ساعـة متأخرة من الليل .

الفصل الثامن عشر

وقفت بالباب سيارة ثالثة ، وهبط منها ثلاثة أشخاص ، هم كورتيه قاضي التحقيق ، والدكتور بيرونو الطبيب الشرعي ، ورجل من أفراد البوليس هو الكونستابل بيسونيت . وكان قد أتى من كويبك بالطائرة المائية في رفقة بيجوري وبيرونو .

ودخل الجميع القصر وخف روفيير وبوشـيرون لاستقبالهم ، فصافحهما بيجوري وهو يقول محدثاً العمدة :

– أرى انك لم تضع وقتك هباء وانك وفقت في القبض على المتهم وإدانته وهذا عمل سريع تستحق عليه التهنئة

فابتسم العمدة وأجاب :

– إنني بذلت كل ما بوسعي يا سيدي .

فالتفت بيجوري إلى قاضي التحقيق وسأله :

– هل استدعيتم الرجل المدعو (ليرميت) أو سمعتم أقوال الدليـل (باتيس) ؟!

فنظر قـاضي التحقيق ، إلى العمـدة ، حائراً ، كأنـه يلتمس معونته ..

وخف العمدة لنجدته إذ قال .

– إننا لم تر ما يدعو إلى استجوابها .

وفي هذه اللحظة ، التفت الكونستابل بيسونيت إلى الدكتور بيرونو ، وقال له :

– من الأفضل ان نبدأ في الحال عملية فحص الجثة .

وقال بيجوري :

– نعم . إفعل ذلك !. بينما أقوم باستجواب الفتاة ، والخادم جاك .

فقال روفيير :

– إن الخادم هنا ، أما الفتاة فقصدت إلى المصيف ، برفقة الدكتور ورد .

– حسناً . أود أولاً ان القي نظرة على مضبوطات القضية .. أريد ان أرى الحربة ، التي ارتكبت بها الجريمة .. والمكان الذي وجدت به الجثة .

فقدم اليه قاضي التحقيق المضبوطات جميعاً .

ففحصها ، وهز رأسه وقال :

– مما لا شك فيه أن بصمات الأصابع على هذه الأشياء ، قد ضاعت معالمها جميعاً ..

ولكني أرجو أن نجد آثار بصمات على المصباح . اللهم إلا إذا كان المجرم حمله بمنديل .

ثم طلب استدعاء جاك .. فأقبل هذا ، وهو شاحب اللون ، مرتجف الأوصال .

ورأى الخادم الحربة في يد مفتش البوليس .

فحبس أنفاسه وانتظر ما سيلقى عليه من الأسئلة ، فهز بيجوري الحربة في يده ، وصاح :

– ماذا تعرف عن هذه الحربة ؟. إنك كذبت فيما ذكرت قبلا .. أما الآن فيجب ان تقول الصدق .

إن الأدلة ضدك قوية !. ولو شئت ، لألقيت القبض عليك في الحال .

فصاح الخادم :

– كلا . كلا يا سيدي انني بريء .

فصرخ به بيجوري :

– إذن تكلم !

– إن مستر آدمز كان ميتاً حين رأيته !. وكانت الحربة مرمية بالقرب منه ، وهي ملوثة بالدماء فذهبت بها إلى غرفتي وأخفيتها هناك قبل أن ..

– لماذا أخفيتها ؟

– لأحمي مولاي .. وأدفع عنه التهمة !. إنه كان من أكرم الناس علي .

– تعني إنك توهمت ان سيدك هو المجرم ؟

– نعم . ومن سواه ؟

فقال تريد غولد :

– لقد ذكر لي جاك ، انه لم ير آدمز قبلا ، ولم يكن يعرفه .

فرد جاك :

– إنني فعلت ذلك لحماية سيدي كذلك . إنهما كانا عدوين لدودين ، وقد حدث في باريس ان سيدي هدده بالقتل .

– وكيف دخل في روعك ان شيخاً عليلا كسيدك لديه القوة لقتل إنسان بطعنة حربة ؟

فصمت الخادم ولم يجب وقال البوليس السري :

لم يكن هناك معنى للاستمرار في الكذب بغية حماية سيدك بعد أن توفي الشيخ اليس كذلك !

– لم أفكر في ذلك حين عثرت بالحزبة .

– ولماذا لم تذكر الحقيقة بعد الوفاة ؟

– لصيانة إسمه وسمعته .

– أنت تكذب ! إنك كنت تريد حماية الفتاة . إنها التي ارتكبت جريمة القتل .

– كل ما أعلمه يا سيدي اني عثرت بالحربة على الأرض .

– وأنت الذي ثبتها بالبندقية ؟!

– نعم !

– متى ؟!

– عندما كانوا يستجوبون ماتياس .

وفي هذه اللحظة ، دخل الكونستابل بيسونيت ، فمد يده بشيء وهو يقول :

– كنت أفتش أمتعة هذا الرجل فعثرت بهذا في حقيبته .

وفتح قبضته .. فإذا في يده صندوق ثمين للسعوط (النشوق) .. فحملق جاك في الصندوق وصاح على الفور :

– عثرت بهذا في حقيبتي ؟ إنني لم أره قبل الان !

فتناول تريد غولد الصندوق وفحصه ثم قال :

– إنني أرى عليه شعار أسرة سان ريمي .. فكيف حصلت عليه ؟!

– أنا لا أعلم شيئاً عن هذا الصندوق ! هذه مؤامرة ضدي لإهلاكي !

قال الكونستابل مخاطباً بيجوري :

– ولقد عثرت بهذا أيضاً يا سيدي ..

وأخرج من جيبه منديلاً صغيراً ملوثاً بالدم .

فقطب بيجوري حاجبيه وسأل :

ـ وهل كان هذا المنديل في حقيبة الخادم كذلك ؟

ـ كلا !. بل وجدته في درج طاولة المطبخ .

فتناول بيجوزي المنديل وفحصه ، ولفت نظره حرف (أ) مطرزاً في أحد أركانه ، فسأل :

ـ ما اسم الفتاة ؟

فرد تريد غولد :

ـ اسمها أدريين .

الفصل التاسع عشر

ما كاد تريد غولد يدخل الكابينة رقم ٣ حتى وثب الدكتور وود من من فراشه وهتف قائلاً :

– أين كنت يا رجل ؟ إن في جعبتي أموراً لا تحصى أود أن أسردها على مسمعك.. لقد أنبأني أنج ترمبلاي بأنك ذهبت بمفتش البوليس في سيارتك إلى القصر !

فقال تريد في شيء من التبرم :

– ذهبنا أولاً إلى القرية .

وفي هذه اللحظة ، أقبل ترمبلاي يحمل بين يديه صحفة كبيرة عليها بعض الطعام والشراب ، فوضعها على الطاولة ، وقال مخاطباً الطبيب :

– أتيتك بما طلبت يا سيدي .

فسأل تريد غولد الحارس :

– أين باتيس الدليل يا ترمبلاي ؟

– إنه خرج في صحبة عائلة مونتجومري

– متى عاد فأنبئه بأنني أود رؤيته .

– حسناً يا مستر تريد غولد ..

وما كاد الحارس ينصرف حتى التفت تريد إلى الشاب وقال له في حدة وهو ينظر إلى صحفة الطعام :

-- ما هذه الوليمة ؟!

فتورد وجه الطبيب وقال :

- سوف تحضر الانسة دي سان ريمي حول الساعة السادسة ، للتفاهم معنا في أمور تهمها ! وقد رأيت أن شيئاً من الطعام والشراب ، قد يقوّي أعصابها الضعيفة !. ولا بأس ، من أن نتناول قليلا من الشراب حتى تحضر .

فجلس تريد واستطرد الشاب :

- وبهذه المناسبة ، يجب ان أذكر لك إنني أعددت العدة لإقامة الانسة دي سان ريمي بيننا بعض الوقت .. وقد أفسح لها أنج ترمبلاي غرفة في مسكنه ..

- ألا تظن انك تسرعت يا جورج ؟. أريد ان أذكر إننا لا نعلم على أي وجه تنتهي هذه القضية !. وأتمنى ان تصدقني إذا قلت لك ان الحوادث بدأت تتطور بسرعة .

- كن مطمئناً يا صاحبي .. خير لك ان تصغي الى ما حصل لنا في القصر بعد ظهر اليوم .

-- مهلا . أرجو قبل كل شيء أن تعدني بألا ينتهي إلى الانسة ما أفضي به اليك .

- ليكن ذلك .

- إعلم إذن ان رجال البوليس قد عثروا في مطبخ القصر منذ ساعة تقريباً على منديل لها ملوث بالدماء .

فحملق اليه الشاب في وجهه بدهشة وسأل :

- وكيف عرفوا انه منديلها ؟

- وجدوا حرف « أ » منقوشاً على المنديل .. وهو الحرف الأول من اسمها ، كما تعلم والمنديل صغير الحجم ، من نوع مناديل السيدات .

فهز الطبيب رأسه في شيء من القلق وقال :

- لا ريب أنهم أخطأوا ايها الصديق .

- لست أرى هذا الرأي . ثم هنالك مسألة أخرى . فقد عثروا في أمتعة جاك بعلبة سعوط (نشوق) ذهبية ، تحمل شعار عائلة سان ريمي

وهنا وثب الشاب نحو صديقه وهو يهتف :

- لقد كنت أعرف هذا إذن فاعلم أن جاك هو القاتل .. أشعل غليونك يا صديقي واصغ إلي ..

وراح الطبيب الشاب يقص عليه حديث الرسالة التي كتبها جد الفتاة وما حصل بعد ذلك . وكيف انه يعتقد ان جاك هو الذي ضربه على رأسه ..

ثم سأل :

- وماذا يقول جاك في موضوع علبة السعوط ؟

- لقد قرر انه لا يعرف شيئاً ، عن العلبة .. وأنا أميل إلى تصديقه .

- إذا لم يكن جاك هو الذي سلب الودائع ، فمعنى ذلك ان الذي هاجمنا كان شخصاً اخر !.

ولم يكن هناك ، شخص اخر قريب من المكان ، غير مسجل المقصود !

- بوشيرون ؟

- نعم ، لقد ظهر لنا عقب هبوطنا مباشرة من الغرفة البلورية ..

وقرر انه كان يقوم بجولة على شاطىء الغدير ، ألا ترجح معي ان مهاجمي هو المجرم ؟

– هذا ما يلوح لكل إنسان

– أيمكن ان يكون المجرم هو بوشيرون ؟

– إذا كان قد خدعنا فيما صرح به عن موعد عودته في الليلة الماضية من ناحية (تروا بوان) .. فقد يحتمل ما تذكر ..

لكن دعني أقول لك يا جورج ، إن التهم التي لا تستند إلى أساس صحيح لا يمكن أن تؤدي إلى نتيجة يعول عليها .. وأنا أذكر ذلك عن خبرة سابقة !.

وراح تريد غولد يحشو غليونه ثم أشعله ..

واستطرد قائلاً :

– كلما قلبت نظري في هذه القضية ، شعرت بأن هناك قوة خفية تعمل على طمس معالم الحقيقة وحجبها عن أبصارنا ..

ولست أعدو الحقيقة إذا قررت لك أن حارس الطاحون لم يمت موتاً طبيعياً .. وإنما قتل لأن المجرم كان يخاف ان يعرف الحارس ما يجري بين جوانب القصر ..

وفي هذه اللحظة ، أقبل عليهما شخص قصير القامة ، أسمر اللون ، ناداه تريد غولد قائلاً :

- تعال يا باتيس ..

فلما دخل الدليل تابع تريد قائلاً :

– أخبرني يا باتيس !. ألم يكن ذلك الشخص ، المسمى بالأعور ، صديقاً لك ؟.

فرد الرجل في حذر :

– إني أعرفه ..

إنه الآن في موقف عسير ، فهل تحب ان تساعده ؟ لقد قيل لي انـك تذهب أحياناً إلى حانة (ليرميت) بالقرية .. فأحببت ان أسألك هل رأيت الأعور هناك في الليلة الماضية؟

فهز باتيس رأسه باصرار وقال :

– إني لم أره ..

– حسناً يا باتيس . هذا كل ما أريد منك .

ولما انصرف الدليل قال تريد غولد .

– أينما يولي الانسان وجهه لا يلقى سوى العثرات .

فقال ورد :

– أراهنك انه يكذب .

– هو ما تذكر .. سوف ترى إذا كان مسيو بيجوري يستطيع ان ينتزع منه شيئاً ..

وفجأة نهض الدكتور وود من مكانه ، وقصد إلى حيث توجد ثيابه ثم عاد وهو يمسك بيده حقيبة من القماش وقال :

– ذكرت لك ان الشخص الذي اعتدى علي في الغرفة البلورية كان يضع على رأسه غطاء .. وها هو الغطاء

فتناول تريد غولد الحقيبة وأخذ يفحصها .

فسأله وود :

– هل أتيح لك أن ترى من قبل حقيبة كهذه ؟

– كانت تأتيني أحياناً في نيويورك قناني من الويسكي في حقائب من نوع هذه الحقيبة .

– هذا صحيح ! . إنها من النوع الذي يستخدمه تجار الخمور في نقـل قناني الشراب .

وهنا لمعت عينا تريد وهتف :

ـ آه !. أتعني ان (ليرميت) يستخدم مثلها ؟. هـذا استنتاج بديع يا صاحبي .

ثم طوى الحقيبة ووضعها تحت كتاب أمامه ..

ثم تابع :

ـ لا بد ان نعرض هذه الحقيبة على أنظار بيجوري . ترى هل ذهب إلى حانة (ليرميت) ؟

وما كاد يتم عبارته ، حتى دوى صـوت ترمبلاي ، معلناً وصـول مفتش البوليس ..

الفصل العشرون

دخل بيجوري صاخباً .. وما كاد يستقر به المقام ، حتى انفجر قائلاً :

– يلوح لي ان أهل الضيعة يتآمرون ضدي .. فإن السواد الأعظم منهم يستأجر أملاك مسيو هكتور . وهم لا يودون ان يفوهوا بشيء يمس سمعته أو سمعة عائلته .

فذهبت إلى حانة (ليرميت) أولاً ووجدتها مغلقة ، وحلفت لي زوجته انها لا تعرف أين ذهب .

ثم قابلت أخيراً ذلك الدليل المدعو باتيس بعد ان خرج من عندكم ، فإذا هو لا يقل عن سواه صمتاً وتحفظاً .

إنهم يفتعلون العثرات في دربي ، لكنني سأنتزع الحقيقة من أفواههم حتى ولو أمضيت حياتي كلها هنا .

ولما هدأ مفتش البوليس قليلاً ، أطلعه مستر تريد غولد على ما حصل للدكتور في القصر .

ثم ناوله الحقيبة وقص عليه ما يراه الطبيب من وجود صلة بينها وبين صاحب الحانة .

وما كاد تريد غولد يفرغ من كلامه حتى وقع بصره على الآنسة دي

سان ريمي ، وكانت اتية نحوهم

فرحب بها وود ودعاها إلى الجلوس ، وعندئذ أخرج بيجوري دفتر مذكراته ونظر اليه .

ثم سأل الفتاة :

– قد ذكرت في التحقيق انك كنت أول من عثر بجثة ادمز ، فلماذا إذن لم تخبري الدكتور وود ، حين أتى إلى القصر ، بأن هناك قتيلاً في غرفة الاستقبال ؟

– كان كل تفكيري إذ ذاك محصوراً في حالة جدي .

– أصارحك يا انسة ، انه مهما يكن من حالة العجوز ، كان في وسعك أن تخبري الطبيب او الكاهن او مستر تريد ، أن هناك قتيلا في القصر .. أرجو ان تصارحيني بالحقيقة .

فترددت الفتاة لحظة ثم اجابت :

– ظننت إذ ذاك أن جدي قتله .

– لكن الطبيب أخبرك ان قلبه شديد الضعف ، فكيف كان يمكن ان يجول بذهنك مثل هذا الخاطر ؟

– هذا ما خطر لي في الواقع ..

ولكن لماذا اتجه تفكيرك إلى هذه الناحية ؟ وما الذي يدفع العجوز إلى قتله ؟

– إن ادمز أرغم جدي على مغادرة أملاكه .

– إنني أعرف كل شيء في هذا الصدد .. ولكني أسألك عن أسباب معينة تحملك على هذا الظن

فتوقفت هنيهة ، ثم قالت :

– هدده جدي بالقتل في اخر لقاء بينهما .

– وما السبب في هذا التهديد ؟

هذه مسألة خاصة .
- أرجو ان اعرفها .
- أفضل ان ألزم الصمت ! . فالمسألة ، لا تمت بسبب ، إلى القضية .
فردد بيجوري عبارتها بصوت مرتفع :
— لا تمت إلى القضية ؟. ألم يطلب ادمز ان يتزوج بك في مقابل شروط معينة ؟
فجمدت الفتاة في مكانها وصعد الدم إلى وجهها .
ثم قالت :
هذا صحيح
- ألم يكرر ادمز هذا الطلب حينما رأيته في الليلة الماضية ؟
فأجابت الفتاة على الفور :
إني لم أتبادل معه كلمة واحدة .. لأنه كان جثة هامدة ، حينما شاهدته .
- ولماذا أتى إلى القصر ؟
- لا أعلم .
- ألم يأت لكي يسألك او يسأل العجوز عن بعض الودائع التي حجزت او اخفيت عند تصفية التركة ؟
— لا اعلم ! قلت لك اني لم أتحدث اليه .
فدس الشرطي يده ، في احد جيوبه ، واخرج علبة ذهبية صغيرة وقال :
-- هل رأيت هذه العلبة من قبل ؟
فهزت رأسها سلباً .
فقدم اليها العلبة قائلا :

- خذيها ! إن عليها شعار اسرتك ، أليس كذلك ؟

فأومأت برأسها إيجاباً ، وراحت تقلب العلبة بين يديها ، ثم سألته :

- أين عثرت بها ؟

- كانت مخبأة بين أمتعة جاك ، وقد راح يتظاهر بأنه لا يعرف كيف وجدت هناك ، إن العجوز قد ترك لك رسالة ، أرجو أن تطلعيني عليها .

فمدت الفتاة يدها إلى حقيبتها في صمت وأخرجت منها ورقة مطوية فتناولها الشرطي وراح يتلوها .

وما لبث ان قال :

- وأين الودائع المذكورة في هذه الرسالة ؟

فأجابت الفتاة في برود .

ما دمت تعلم كل شيء مما يتصل بي ، فلا شك انك تعلم كذلك انه حينما قصدت مع الدكتور وود الى الغرفة البلورية للبحث عن الودائع ، كما يشير جدي ، وجدناها اختفت !

وردت اليه العلبة الذهبية

وصمت الشرطي لحظة ، ثم سألها

- أين أضعت قلمك يا انسة ؟

فمدت يدها إلى سلسلة ذهبيه ناعمة حول عنقها ، وظهرت عليها علامات الدهشة والحيرة وهزت رأسها قائلة :

- لا أذكر .. ولم أفطن قبل اليوم الى اني أضعته .

فقال وود

- هذا صحيح ، اني سألت الآنسة في القصر بعد ظهر اليوم ان تعطيني قلمها ، فأجابت بأنها اضاعته .

ولم يكمل الشاب عبارته ، لأن رجل البوليس بسط يده فإذا بها القلم الذهبي الصغير .

قال في هدوء :

- هل هذا قلمك يا انسة ؟

- نعم اين عثرت به ؟

ولكنه تجاهل سؤالها وقال :

- إسمحي لي بأن أرى هذه السلسلة .

فنزعت الفتاة السلسلة من عنقها دون ان تنبس بكلمة وناولته إياها ، فانحنى الشرطي عليها وراح يفحصها حلقة حلقة ، ثم وجه عنايته بعد ذلك إلى القلم الذهبي !

وما لبث ان أخرج من احد جيوبه عدسة ، ونهض إلى باب الكابينة حيث يتوفر الضوء .

وراح يعيد فحص القلم تحت العدسة !

وعاد الى الفتاة بعد لحظة وسالها وهو يدني منها القلم :

- أتعترفين ان هذ القلم لك ؟

- بكل تأكيد !

- إننا عثرنا عليه ، تحت جثة ادمز ، فكيف وجد في ذلك الموضع ؟

فاصفرت الفتاة إزاء هذه المفاجأة وارتجفت شفتاها ، على انها لم تلبث ان ملكت نفسها واجابت .

- لا اعلم ، وكل ما اعرفه اني اضعته اليوم !

فدفع الشرطي بالسلسلة اليها وقال :

- إن الحلقة التي كان القلم معلقاً بها تبدو مشوهة ، ويلوح من هذا انه انتزع منها بشدة ، فما رأيك في ذلك ؟

ـ لا شيء ، ضاع هذا القلم مني ، ولكني لا اعلم اين ضاع او كيف ضاع ، هذا كل ما اعرفه .

ـ إن الانكار لا يفيدك ، إني اميل إلى الظن بأنك قتلت ادمز دفاعاً عن نفسك .. إنه طلب منك امراً ، فجذبت الحربة من على الحائط لكي تذودي بها عن نفسك ..

وفي خلال الصراع الذي حصل بينكما ، طعنته بالحربة ، وتعلق هو بالقلم فانفصل عن السلسلة ، اليس هذا ما حدث ؟

ـ كلا ، والف مرة كلا !. اواه !. ما الفائدة من الكلام ؟. إن احداً منكم لا يصدقني .

فهتفت الفتاة وهي تضرب الأرض برجلها .

وهنا اقترب وود من الشرطي وقال والدم يغلي في شرايينه :

ـ إسمع يا صاحبي .. إنك اسرفت كثيراً .

فلم يتحرك بيجوري من مكانه واجاب :

ـ ارجو الا تتدخل فيما لا يعنيك !

ثم وجه حديثه الى الفتاة :

ـ إذا كنت لم تقتلي ادمز ، فلماذا نظفت الحربة ، ثم طلبت إلى جاك ان يعيدها الى مكانها ؟

فهتفت الفتاة غاضبة :

ـ إني لم افعل ذلك .

فرد وهو يبرز المنديل الملوث بالدماء :

ـ اصحيح ما تذكرين ؟. اليس هذا منديلك ؟

فتغضن محياها ، وأومأت برأسها إيجاباً .

فتابع الشرطي وهو يلوح بالمنديل :

ـ كيف تلوث المنديل بهذا الدم ؟ وما سر وجوده في احد أدراج

طاولة المطبخ ؟!

فلوحت الفتاة بيديها في يأس وردت :

- في وسعي ان افسر كل شيء ، إذا كنت تمهلني .. انك تأخذ علي السبل بهذه الأسئلة المتتابعة .

هذه المسألة ليست في حاجة الى تفسير .. انك مسحت الحربة بهذا المنديل .. اليس كذلك ؟

فقالت في صوت دوى بين جوانب الغرفة :

- كلا .. لقد شاهدت إحدى (فردتي الشبشب) الذي كان يلبسه جدي ملوثة بالدماء . ولا ريب انه جر نفسه جراً إلى حيث كان ادمز ممدداً ، وهوى في البهو وهو يسير ملتمساً من يسعفه ، فمسحت آثار الدماء بمنديلي ، وكان ذلك أثر اهتدائي إلى وجود الجثة واعتقادي ان جدي هو الذي قتل آدمز ، ووضعت ذلك المنديل في أحد أدراج المطبخ وكان في عزمي ان أغسله ولكني ما لبثت ان نسيته .

أرجو ان تعتقد في صدق هذه الوقائع ، وأقرر لك في إخلاص إني لم أر قط تلك الحربة .

وإذا كان هناك من تناولها ومسحها ، فلا بد ان يكون جاك ، واحسب انه كان مثلي يظن ان جدي ..

وهنا قاطعها وود قائلاً :

- لم تحاولين حماية هذا الخادم يا أدريين .. انك تعرفين حق المعرفة أن جاك هو الذي قتل آدمز ، وهو الذي مسح الحربة وأعادها إلى موضعها ، كي يدفع الشبهة عن نفسه .

فقالت الفتاة موجهة كلامها إلى الشرطي :

- إن الدكتور وود لا يعلم شيئاً في هذا الصدد إذا كان جاك هو القاتل ، فإنه ما كان ليسكت على اعتقال ماتياس التمس ..

فأرسل الشرطي ضحكة لا تبشر بخير وقال :

– أصحيح إنه كان يفعل ذلك ؟ هل تريدين ان أنبئك لماذا كذب في كل أحاديثه ! لقد أراد ان يحميك ..

فتراجعت الفتاة إلى الوراء ، وقد ضغطت بإحـــدى يديها على قلبها ، وهتفت قائلة :

– يحميني أنا ؟!

– إني أتكلم بوضوح ، انه كان يشتبه منذ البداية في انك قتلت آدمز .. ولما رأى أنهم عثروا على القلم ، إنقلب شكه يقيناً ..

فزمجر وود قائلاً :

– ألا ترى يا رجل انه يذر الرماد في عينيـــك ؟ إن ادمز قد فاجأه متلبساً بسرقة الودائع ، فما كان منه إلا أن قتله به ، كما حاول ان يفتك بي بعد ظهر اليوم .. وها هو يحاول الآن ان يلصق التهمة بالآنسة .

فقال الشرطي دون ان يفارقه هدوءه :

– انك مخطيء .. انه ظل إلى اخر لحظة يبذل جهـــده لحمايتها ودفع التهمة عنها . ولم يشأ ان يعترف بأن القلم لها حتى استدرجته إلى هـــذا الاعتراف .. وأحسب ان جـاك لم يمتد عليك في الغرفة البلورية إلا لأنه كان يحسبك بمفردك . وقد حمل بمـاعدة تلك الآنسة تلك الودائع الثمينة إلى مكان أمين ، ولم يكن يظن انك ستهتدي إلى هذا السر .

فقال وود :

– لا شـك انك مجنون ، إذا كان استنتاجـك صحيحاً ، فلماذا أنبـأتني الآنسة ، برسالة جدهـا ، وسـألتني أن أرافقها إلى الغرفـة البـلورية ؟

فهز بيجوري كتفيه وقال وهو يحملق في وجه الفتاة

– على الآنسة ان تفسر تصرفاتها !.

وفي هـذه اللحظة ، أقبل الكونستابل بيسونيت ، وقال محدثا بيجوري :

- إن رجال البوليس في (.تروا بوان) يطلبون مخاطبتك تليفونيا يا سيدي !.

- تحدث بالنيابة عني ، يا بيسنيت . فإنني الآن ، في شغل عن حديثهم .

- إنهم يريدونك لأمر هام ، يا سيدي .. فإن الأعور فر من السجن بعد ظهر اليوم !

الفصل الحادي والعشرون

هتف بيجوري في دهشة ويأس :

– فر ؟ هذا بديع ، إنهم قبضوا أولاً على شخص بريء ربما استطعنا أن نفيد من أقواله ، ثم عادوا فتركوه يفر قبل أن أتمكن من مقابلته ، لعنة الله على هذه السجون القروية يا بيسونيت ..

– نعم يا سيدي

– أرسل في الحال من رجال البوليس من يكمن للأعور في كوخه حتى إذا لجأ اليه القي القبض عليه في الحال ، ولكن صبراً ؟

وتحول إلى الفتاة فجأة وسألها :

– هل أتيت بأمتعتك يا آنسة ؟

– نعم !

– إني أريد تفتيشها فهل تسمحين ؟

فهزت كتفيها بقلة اكتراث

قال :

– إذن فاعط الكونستابل مفاتيح الحقائب ، ولكن صبراً .. سأذهب معك يا بيسونيت ..

وأحنى قامته للفتاة باحترام وقال :

ـ سنستأنف الحديث فيما بعد يا آنسة ..

ثم اختطف قبعته وانطلق مع الكونستابل .

قال الدكتور وود وهو يشيعه بنظرة غضب :

ـ يا له من حيوان ! إنه كان يتحدث اليك كأنك متهمة .

فأشاحت أدريين عنه بوجهها وقالت تحدث تريد غولد :

ـ أريد أن أسألك معروفاً ، ولا أعلم هل ستجيبني اليه ؟ إن لديك سيارة أليس كذلك ؟ هل لك بأن تتكرم بالذهاب بي إلى الدير ؟

فهتف وود في دهشة :

ـ إلى الدير ؟ وماذا تريدين أن تفعلي هناك ؟

ولكنها لم تحول عينيها عن وجه تريد..

فأجاب هذا :

ـ بكل تأكيد ، ولكن ألا يحسن قبل كل شيء أن تتناولي شيئاً من الطعام ؟

ـ كلا ، لا أريد أن أتناول شيئاً من الطعام ، لقد تغير رأيي في الاقامة هنا .

فهتف وود في خوف :

ـ أدريين ؟

ولكنها تجاهلته وقالت لتريد :

ـ هل تذهب بي ؟

ـ طبعاً .. طبعاً أيتها العزيزة .. ولكن ، ماذا كنت أريد أن أقول ، آه .. ولكن حقائبك ؟

ـ كلا ، لا أريد حقائبي ، ولا أمتعتي .. لا أريد البقاء هنا لحظة أخرى

فصاح الطبيب محتجاً :

– ولكن ماذا حدث يا أدريين ؟

وقال تريد غولد :

– كلا .. كلا ! يجب أن تتناولي شيئاً من الطعام أولاً ، وبعد . فأنا لست واثقاً من أن مسيو بيجوري يسمح لك بالانصراف من هنا ، انني على استعداد للذهاب بك إلى حيث تريدين ، وفي أي وقت تشائين ، ولكن أقترح عليك بالتريث !

ثم قدم اليها كأساً من الشراب ..

فرفضتها أولاً .

ولكنه الح عليها فقبلت !

قال :

– هناك بضعة أسئلة أرجو أن تجيبي عليها ، لأنها في اعتقادي على شيء من الأهمية ، أنا شخصياً أعتقد في براءتك ، وأريد أن أثبتها بالدليل القاطع فحدثيني ماذا تعلمين عن بوشيرون ؟

نظرت اليه متسائلة وقالت :

– ماذا تعني ؟

– لقد قرر الأعور أن جدك بعث به إلى بيت بوشيرون لكي يدعو هذا الأخير إلى مقابلته .

– أعتقد أنه دعاه بشأن ريع بعض قطع الأرض الصغيرة التي نملكها .. لأنه لم يدفع هذا الريع منذ ستة شهور ، وامتنع عن الرد على رسائل أبي .

– لماذا ؟

– - لقد كان أبي يعلل ذلك بالكساد وسوء الحالة الاقتصادية وفقر الزراع ، ولكني أعتقد أن آدمز هو الذي حضه على عدم إرسال النقود التي يستحقها جدي .

– ولكن لماذا أرسل جدك يدعوه على عجل في مثل تلك الساعة المتأخرة من الليل ؟ إنه صبر ستة شهور .. وكان يستطيع أن يتريث يوماً آخر .

فهزت رأسها وقالت

– لا أعلم .

فنظر تريد غولد إلى الفضاء .

ثم قال كأنه يحدث نفسه :

– لقد كان والدك مرتدياً ثيابه كاملة ، وكنت وجالك نائمين .. أفلا يحتمل أن يكون جدك قد رأى أن الفرصة مناسبة لتفقد التحف الأثرية الثمينة .. فلما بحث عنها ولم يجدها .. أرسل في الحال يدعو بوشيرون بصفته وكيل أعماله هنا .. والوحيد الذي كان يحتفظ بمفاتيح القصر .

فأطرقت برأسها قائلة

– إنني لم أفكر في ذلك قط .

– هل تسمحين لي بنصيحة أقدمها لك يا آنسة ؟

فنظرت اليه متسائلة ، قال :

– إني أنصح لك بألا تبرحي هذا المكان ، فهو في اعتقادي المكان الوحيد الذي تستطيعين أن تأمني فيه على نفسك ، انني أظن أن كل انسان له ضلع في هذه القضية مستهدف للخطر .

فانكمشت في مكانها وهتفت :

– أتقول حقاً ؟

– نعم ، هل تمكثين هنا إذن ؟

– حسناً ..

وهنا تحول تريد غولد إلى صاحبه فقال :

– دعني أسألك معروفاً يا وود ، عليك أن تقف في هذه الشرفة بينما أتسلل إلى شرفة مستر ادمز ، لأنني أريد أن القي نظرة على محتوياتها .

– ولكن الكابينة مغلقة ومفتاحها عند بيجوري .

– لا بأس ، فهناك النوافذ .

– وإذا عاد بيجوري فجأة !

– إذا عاد فليذهب إلى الشيطان

وما كاد تريد غولد يبتعد ، حتى تحول الطبيب الشاب إلى أدريين وقال لها :

– حقاً انه شاب نشيط ، ومخلص .

ولكنها لم تجبه !!

بل نهضت واقفة وحاولت أن تنصرف .

فأمسك بساعدها وسألها في قلق :

– إلى أين تذهبين

– إلى غرفتي .

– بل اجلسي ودعينا نتحدث .

فأجابت وهي لا تزال تشيح بوجهها عنه :

– شكراً لك ، ولكني أفضل الوحدة .

– يا لله ماذا أصابك .

– لا شيء . .

– ولكن هذا جنون ، هل تعتقدين انني أسأت اليك ؟

– أرجو أن تدعني أذهب إلى غرفتي .

– لن أدعك تذهبين حتى أعلم سبب اعراضك عني .

فنظرت اليه في غضب وصاحت :

لماذا تعمد إلى الرياء والنفاق ؟

ــ لا أفهم ماذا تعنين !

ــ ألا تظن بأنك خدعتني ! ألست انت الذي أنبأت ذلك المفتش بأن جديون آدمز زارنا في باريس وطلب الاقتران بي ؟

ــ كلا ، لم أنبئه بشيء من ذلك .

ــ إذن كيف علم !

ــ إن لرجال البوليس طريقتهم الخاصة في استقصاء أسرار الناس ، تلك هي مهنتهم .

ــ لو انك كنت على شيء من كرم الخلق لما عبثت بثقتي بك .

ــ اتعتقدين انني سردت قصتك على بيجوري .

ــ إن حكاية باريس لا يعلمها سواي وجدي ، وأنت !

ــ أقسم لك بشرفي أنني لم أذكرها لكائن من كان . حتى ولا لتريد جولد .

فهزت كتفيها وقالت :

ــ لا أستطيع أن اصدقك .

وانطلقت إلى غرفتها غير عابئة بتوسلاته .

وما هي إلا لحظة حتى اتى تريد وسأله :

ــ أين ذهبت الفتاة ؟

ــ إنها انطلقت إلى غرفتها .

ــ حسناً فعلت ، والآن اصغ الي . سأذهب في الحال إلى القرية لشأن يتصل بالقضية التي نحن بصددها ومتى عاد بيجوري فدعه ينتظرني ، التمس اي عذر لإبقائه هنا قل له أن من الضروري جداً ان اقابله الليلة

قال ذلك ودخل الكابينة ورآه رود يفتح حقيبته ويتناول مسدسه فسأله في جزع :

– ماذا تريد ان تفعل بهذا المسدس ؟

– لا شيء ، انني أحتفظ به للطوارىء فحسب .

وصمت لحظة ثم عاد فاستطرد :

– وبهذه المناسبة ارجو ان تحذر الفتاة مرة اخرى بألا تبرح المصيف

– أتظنها في خطر ؟

– إننا جميعاً في خطر ما دام المجرم الحقيقي لا يزال حراً طليقاً .

– إن الفتاة تتهمني بأنني الذي أخبرت بيجوري قصتها، وتقسم بأن أحداً لا يعلم بهذه القصة سوانا .

– هل اخبرتك بقصتها في إحدى الغرف ؟

– بل فعلت ذلك في الخلاء ، في الغابة ، وكنا قد جلسنا بين الأشجار للراحة .

– هل سمع حديثكما أحد ؟

– كلا

– ولم يمر بكما احد !

ففكر وود قليلاً ثم اجاب:

– اذكر انني رأيت على مبعدة سيارة زرقاء ..

فهتف فريد :

– سيارة زرقاء كسيارة بوشيرون ؟

– آه ، نعم كسيارة بوشيرون .. يا لله ، لا يبعد أن يكون هذا الشخص قد تعقبنا إلى الغابة فإلى القصر ، واقول لك الحق ان سلوك هذا الشخص قد رابني ، فانه حاول ان يمنع ادريين من مغـــادرة القصر حتى يحضر مفتش البوليس ، كأني به اراد ان يورطها ويلصق بها التهمة مهما كلفه ذلك .

– صبراً ، سأجعل هذه المسألة موضع عنايتي متى عدت .

الفصل الثاني والعشرون

كانت الشمس قد اخذت تنحدر وراء الأفق حين وصل تريد غولد إلى القرية ..

فقصد لتوه إلى حانوت روفيير ، وقابلته زوجة هذا الأخير ، وعندما سألها عن زوجها انبأته باللغة الفرنسية انه في (الكاراج) ، وطلبت اليه ان ينتظره

وما هي الا لحظة حتى قدم العمدة .

فرحب به وقال :

– لا شك انك جئت في طلب المزيد من طوابع البريد ، لقد كان بودي ان اقدم اليك مجموعة ثمينة ، ولكن حوادث الأيام الأخيرة شغلتني ، ومع ذلك فقد اعددت لك بعض الطوابع .

ووضع امام تريد طائفة منها .

فقال هذا الأخير :

– هل تسمح لي بأن آخذها معي لأفحصها على مهل ؟

– طبعاً .. طبعاً !

واحصى تريد الطوابع وسجل عددها على غلاف قديم وجده على ارض الحانوت ، ووضع الطوابع في الغلاف .

وغاب العمدة لحظة ..

ثم عاد حاملا قنينة وكأسين ، فملأ الكأسين وقدم احدهما الى تريد وهو يقول :

ــ جرب هذا الشراب

فتناول تريد الكأس وازدرد محتوياتها وقال :

ــ هذا شراب قوي أليس كذلك ؟ مم يصنع هذا الشراب ؟

ــ من الكحول النقي والليمون والسكر .

ــ هل ذلك من المشروبات المهربة ؟

فلمعت عينا روفيير وقال :

ــ هل تظن ان العمدة يقدم على خرق القوانين ؟

فابتسم تريد وقال :

ــ لقد ذكر لي احد اصدقائي في كويبك انه يندر ان تباع في قرى (كندا) مشروبات روحية دفعت عنها ضريبة جمركية

فهز روفيير رأسه وأجاب :

ــ هذا الكلام ينافي الحقيقة .

ــ بهذه المناسبة ، هل اتصل بك نبأ عن (ليرميت) ؟

ــ انه لاذ بالفرار ، ولا يبعد ان يكون قد تخطى الحدود .

ــ هل اتصل بك ان الأعور فر من سجنه ؟

ــ نعم .. فقد جاءني إحد رجال الشرطة ، وطلب احد الأدلاء لإرشاد البوليس عن مسالك الغابة . وقد وضع كوخه الآن تحت الرقابة .

ــ وما قولك في (ليرميت) وفراره ، في اعتقادي انه اذا لم تكن له صلة بالجريمة فان ..

ــ ليس في استطاعتي ان ابرر فرار هذا الشخص .

ـ أظن ان ليرميت وباتيس يستطيعان ان يفيدا التحقيق ، ولكنهما يؤثران الصمت على الكلام

ـ هل تعني باتيس الدليل ؟

ـ نعم ، فماذا تعلم عنه ؟

فظهرت على وجه روفيير علامات التردد !

ولكنه ما لبث ان قال

ـ انني رأيته صباح اليوم وهو يدخل بيت بوشيرون .

ـ هل هذا كل ما تعلم عنه ؟ ولكن يحتمل ان يكون بوشيرون قد احتاج الى الدليل لرغبته في صيد السمك برفقته .

ـ ان بوشيرون ليس من هواة الصيد !

فصمت تريد غولد لحظة !

ثم سأل :

ـ هل يربح بوشيرون كثيراً من مكتبه ؟

ـ انه يربح كثيراً ، ولكنه اضاع نقوده في المضاربات وقد جاءني منذ ايام يطلب قرضاً .

فأشعل تريد غليونه ، وتناول الغلاف الذي وضع به طوابع البريـــد وهم بالانصراف !

ولكن روفيير استوقفه بقوله

ـ انني بحاجة الى نصحك يا سيدي ، وقد كان في استطاعتي ان اتصل بمسيو بيجوري لو ان لي ثقة بهذا الرجـل ، نعم .. كان بودي ان اتكلم اليه عن بوشيرون !

ـ وماذا تعلم عن بوشيرون يا سيدي العمدة ؟

ـ هل تذكر قوله انه لم يعد من (تروابون) ليلة امس قبل الساعة الحادية عشرة ؟

ـ نعم !.

ـ انه لم يذكر الحقيقة في هذا الموضوع ، فقد قرر لافوامبواز الخباز ، انه رأى سيارة بوشيرون امام منزله في الساعة العاشرة والنصف ، وبعد خمس دقائق انطلقت السيارة في سبيلها .

ـ وهل رأى الخباز الأستاذ بوشيرون ؟

ـ كلا ، ولكن ما دامت السيارة كانت هناك ، فلا بد انه كان هناك كذلك ، لأنه يقود سيارته بنفسه .

ـ وهل تكلمت الى بوشيرون في هذا ؟

ـ كلا ، لأن من المؤلم ان اصارحه بأنه كاذب .

ففكر تريد لحظة !

ثم تابع كلامه :

ـ اذن لا تذكر له شيئاً ، واترك الأمر لي .

عاد تريد عقب ذلك الى المصيف ، فلقي زميله الطبيب وود ممدداً في فراشه وبين يديه كتاب يقرأه .

سأله وهو يخلع القبعة :

ـ هل عاد بيجوري ؟

ـ كلا ، ولكن ماذا فعلت انت ؟

فلم يجب تريد على هذا السؤال بل سأله .

ـ هل ستقابلك الفتاة غداً ؟

ـ طبعاً ..

ـ اذن فانبئها ان ذلك الشقي بوشيرون هو الذي سرد القصة على مفتش البوليس ، فاذا لم تصدقك فاستشهد ببيجوري .

وفي هذه اللحظة جاء مفتش البوليس !

وكانت ثيابه مبللة بمياه المطر .

كان متجهم الوجه متقلب السحنة ، فلم يكد تريد يراه على هذه الحال ، حتى نهض واقفاً !

هتف بيجوري بصوت اجش :

ـ ليرميت ..

فصاح تريد :

ـ ماذا !

ـ قتل خنقاً ، انهم عثروا به في الغابة هذا المساء .

الفصل الثالث والعشرون

خيل إلى وود أن بدأ خفية امتدت ومحت عن محيا ترييد غولد اخر أثر لتلك الطيبة التي كانت تلوح عليه .

وبدت له عينا الرجل باردتين قاسيتين وهو ينظر إلى مفتش البوليس ، ويسأل في ثبات :

– أين عثر على (ليرميت) ؟!

– على بعد ميلين من الناحية الأخرى من القرية ، وعلى الطريق العام المؤدي إلى (تروا بوان) . لقد كانت الجثة ملقاة بين المزارع ، وكان اكتشافها محض مصادفة ، إذ أرسل أحد الزراع كلبه يسعى وراء أرنب .

– ومتى حدثت الجريمة ؟

– في الصباح الباكر على ما يبدو ، وأظن انه أسلم الروح منذ اثنتي عشرة ساعة على الأقل .

– ألم يعثر على اثار ؟

– تروي إمرأته انه سمع حول الفجر صوت حصى يرمى على زجاج نافذة غرفة النوم ، فارتدى ثيابه على عجل وخرج دون ان ينبئها عن وجهته ، لكن أحداً لم يره بعد ذلك .

- وكيف مات ؟

- يغلب انه مات خنقاً ، لكن الحبل الذي استعمل في الجريمة لم يعثر عليه بجانب الجثة .

- وماذا عندك من أنباء الأعور !

- ما زال حراً طليقاً ، ولم يقرب كوخه .

وتوقف لحظة رمى فيها محدثه بنظرة حادة ثم تابع :

.. لكن الأعور لم يقترف هذه الجريمة يا مستر تريد ، فإنه لم يفر إلا في ساعة متأخرة بعد الظهر .

- اني أوافقك ، بل ان ليرميت لم يمت إلا لهذا السبب .

- لا أفهم ما تعني .

- أعني ان ليرميت قتل لأن الأعور كان لا يزال مسجوناً .

- وقد كان في استطاعة ليرميت ان يصرح بأن الأعور كان عنده حين ارتكاب الجريمة وبذلك يخلصه ..

أليس هذا ما تعنيه ؟

- نعم ، والواقع انه قبل ظهوره على مسرح هذه الجريمة لم يكن هناك أي شك في إدانة الأعور ، وكان ليرميت شاهداً خطيراً قد يصبح حجر عثرة في طريق الإدانة .

ولكن باتيس لا يزال حياً ، أليس كذلك ؟

- سوف يأسف على بقائه حياً قبل ان انتهي معه ..

- هل تعلم انه زار بوشيرون في الصباح الباكر ؟

فظهرت علامات الدهشة على محيا بيجوري وقال :

- هل فعل ذلك ؟ إني فكرت في بوشيرون هذا يا مستر تريد غولد ، فقد خطر لي ، بعد رحيلك بعد الظهر ، ان اعود لفحص اثار إطارات السيارة بواسطة عدسة مكبرة ، فاتضح لي انها قريبة الشبه كثيراً من الإطارات التي

وجدنا اثارها امام القصر .

– وهناك أمر اخر جدير بالاعتبار .. فقد ذكر بوشيرون ، انه لم يعد من (تروا بوان) إلا بعد الساعة الحادية عشرة ، مساء أمس ، ولكن سيارته كانت واقفة أمام باب منزله في منتصف الساعة الحادية عشرة .

– وكيف علمت ذلك ؟

– لقد راها لافوامبواز الخباز في ذلك المكان ، ولم تنقض خمس دقائق حتى اختفت .

– أي انه انطلق بها في الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والثلاثين ! ولقد ابتدأ هطول المطر في الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والأربعين ، فإذا صحت نظريتك ، كان لأثر إطارات السيارة معناه ، وكان من المؤكد ذهاب بوشيرون الى القصر مباشرة !

ترى ، هل اشترك الثلاثة ، أعني بوشيرون والفتاة والخادم ، في ارتكاب الجريمة ؟

إن بوشيرون هو الذي قدم إلي الكثير من المعلومات عن الفتاة ، فلماذا فعل ذلك ؟

وهنا تدخل وود في الحديث وقال :

– لأنه يريد ذر الرماد في العيون وإبعاد الشبهة عنه ، ولهذا السبب كذلك أقدم على قتل ليرميت المسكين .

فقال بيجوري :

– ولماذا قتل ادمز ؟

– لأنه هو الذي سرق التحف الأثرية ، فلما اشتبك مع ادمز في النقاش والجدل قتله .

– ولكن لماذا قصد ادمز الى القصر في ليلة الجريمة ؟

ثم نظر الى تريد وقال :

ـ لقد كنت على حق . إننا ان نصل الى نتيجة حتى نعرف سبب حضور ادمز الى سان فلورنتين. اني أبرقت بعد ظهر اليوم إلى مكتبه في تورنتو للحصول على معلومات في هذا الصدد .

فمد تريد يده إلى حافظته الموضوعة على طاولة الزينة وتناولها وأخرج منها ورقة وهو يقول :

ـ أظن في استطاعتي ان أفسر هــذه النقطة . بينما كنت أنت في (تروا بوان) انتهزت الفرصة وفتشت كوخ ادمز ، فوجدت هذا الخطاب في حقيبة ملابسه ، وهو مرسل باسم ادمز بعنوانه في (تورنتو) وصادر من محل « روي وميشو » من تجار التحف الأثرية ، بشارع سان لويس بمدينة كويبك .

أما تاريخه فيرجع إلى السابع عشر من شهر يوليو ، أي منذ ثلاثة أسابيع هل أتلوه ؟

وأشار بيجوري بالإيجاب فقرأ تريد :

« سيدي ،

« رداً على استعلاماتك عن التحف والأطبــاق التي اشتريتها حديثاً من محلنا ، نقول ان الموظفة التي ابتاعت لنا هذه التحف رجعت من فرصتها ، وهي تقرر انها تظن ان التحف عرضت علينا في يونيو الماضي بواسطة إمرأة مجهولة ، رفضت ان تدلي باسمها ،

« وان تلك المرأة كانت ولا شك فرنسية كندية ، يدل مظهرها وأسلوبها في الكلام انها من الريف .

« ونحن ننتهز هذه الفرصة لننبئك ، أننا سوف نحجز لك أية قطعة من التحف الثمينة عليها شعار سان ريمي .

« وتفضل ، الخ .. »

وانتهى تريد من تلاوة الرسالة فتابع قائلا .

ـ اظن ان معك رسالة هكتور دي سان ريمي إلى حفيدته ، فهل استطيع أن اراها ؟

فأخرج بيجوري الرسالة من جيبه وناولها الى تريد غولد ، وتناول منه خطاب ادمز ليقرأه بنفسه .

وتلا تريد غولد الرسالة ثم قال :

ـ اصغ الى هذه العبارة ، انه يقول :

« .. ان الصحف والأطباق الخاصة بجدة جدتك ، والتي تحمل شعار الأسرة ... »

ثم كف عن القراءة وقال :

ـ لا شك في ان ادمز رأى بعض هذه الأواني معروضاً في نوافذ ذلك المتجر في كويبك فراح يستعلم ، ولعل هذا هو سبب ذهابه إلى سان فلورنتين ليستعلم عن كيفية وصول أواني الأسرة إلى الأسواق .

وكان بيجوري يتصفح خطاب ادمز باهتمام ويقرأ بتؤدة هذه العبارة :

« .. وإن تلك المرأة كانت ولا شك فرنسية كندية يشير مظهرها وأسلوبها في الكلام أنها من الريف »

ثم رفع بصره عن الخطاب وقال محدثاً تريد غولد :

ـ إن بمنزل بوشيرون امرأة تديره وقد فتحت لي الباب بعد ظهر اليوم ، وهذا الوصف ينطبق عليها .

ثم نظر إلى ساعته وأضاف :

ـ الساعة الآن العاشرة وعشرون دقيقة ! أرجح ان يكون بوشيرون بمنزله الآن ، سأذهب وأراه في الحال .

فقال تريد غولد مقترحاً :

ـ ألا يحسن بك ان ترى باليس أولاً ؟

– هذه فكرة لا بأس بها ، فإنه كلما زادت معلوماتنا أمكننا تضييـق الخناق على بوشيرون ، سأذهب الآن لأقابل باتيس بمنزل قاضي التحقيق ، لاني طلبت منه ان يحضره إلى منزله في الساعة العاشرة .

– إذن دع مقابلة بوشيرون إلى الغد .. إننا نجابه عدواً قادراً خطيراً ، وإذا نحن أهملنا نقطة واحدة ، فسوف يفلت من أيدينا . يجب عليك أولاً أن تتم أبحاثك ، فترى باتيس وتحادث لافوامبـواز ، وتجمع كل دليـل يمكنك الحصول عليه ، ولا تقدم على مهاجمة بوشيرون قبل ان تكبله بالبراهين والأدلة !

– إنني لا أميل إلى التأجيل والتأخير ولكن يخيـل الي انك معتزم امراً معيناً فكم من الوقت يكفيك ؟

– أربع وعشرون ساعة .

– حسناً ..

– إنما أرجو ان تحمي باتيس من كل اعتداء .

– حسناً ، أين الفتاة ؟

فرد وود :

– انها ذهبت الى غرفتها منذ ساعات .

– اذن يجب ان أراها الان .

فهز الطبيب كتفيه مجيباً :

– سأذهب لإحضارها .

– كلا بل دعها تنتظرني .

وبعد انصراف الطبيب الشاب ، التفت بيجوري الى تريد غولد ، وقال له :

– إن الأعور صمم قبل فراره ان يتكلم بعد ظهر اليوم ، ولكنـه أصر على ألا يفضي بشيء الا للفتاة .. وكانوا يجدون في الوصول اليه عندما

فر الأعور .

ـ اذن يجب ان نجد الأعور اولاً .

فسار بيجوري الى الباب وفتحه ليرمي بلفافة التبغ التي كان يدخنها وهو يجيب :

ـ سنجده حتماً .

ـ عندما ترى الفتاة يجب ان تفهمها ان وود لم يرو لك عنها شيئاً .. اذ يخيل الي انها ..

وفجأة توقف تريد عن الكلام ، اذ دوى في تلك اللحظة صوت طلق ناري يصم الاذان .

الفصل الرابع والعشرون

لم يدم الوجوم الذي اعترى الرجلين على أثر الطلق الناري أكثر من لحظة وجيزة تبادلا فيها النظرات . ثم هتف بيجوري :

ـ يا الله انهم أصابوا الدكتور وود .

وكان لا يزال ممسكاً بمصراع الباب ، فاندفع منه كالسهم وتبعه تريد غولد .

وكان صوت الطلق الناري قد أيقظ المصطافين ، فتعالت الأصوات من كل ناحية وراح تريد غولد يعدو بكل قوته ، الى ان اصطدم بتيسران وكان يرتدي ملابس النوم الفضفاضة ، وقد رمى على كتفيه معطفاً قاتم اللون ووقف عاري القدمين .

هتف تيسران ، وأسنانه تصطك :

ـ لقد أطلق عيار ناري ، الان .. هل سنموت جميعاً ، ونحن نيام ؟

ولم يجبه تريد غولد إذ قطع عليهما الحديث صوت الجنرال ريس ، وهو يصيح قائلاً :

ـ ماذا حدث ؟؟

وارتفع صوت بيجوري فوق جميع الأصوات ، وكان يصيح :

ـ يا دكتور ! هل أصبت بسوء ؟

وشق تريد غولد طريقه الى الأمـــام ، وراح يبحث عن بيجوري الذي أخفته الظلمة الحالكة ، ولكنه ما لبث ان رأى الدكتور وود قادماً من بين الأشجار وهو يتعثر لاهثاً ، وماء المطر يقطر من وجهه وثيابه ، فهتف قائلا : .

ـ شكراً لله ، ماذا حدث ؟

وترنح الشاب بين ذراعي صديقه فصاح تريد غولد :

ـ يا الله ، هل جرحت يا جورج ؟

فهز الطبيب رأسه وقال :

ـ لا ، ولكني تعب ، اذ اطلق مجهول عياراً ناريا علي فطاردته ، انتظر برهة حتى استريح .

واستند الشاب الى جذع شجرة وهو يلهث تعباً .

ووصل بيجوري في تلك اللحظة ، وفي أثره الجنرال ، وتيسيران ، ومونتجومري وزوجته ، واحدى بنات تيسيران .. وكان انجل ترمبلاي اخر من وصل الى المكان .

وتكلم الجميع في وقت واحد ، ما عدا تريد غولد الذي لزم الصمت .

قال الجنرال محدثاً وود :

ـ ماذا حصل ؟ ومن ذا الذي أطلق النار ؟

فمسح الطبيب وجهه وقال :

ـ كان الطريق مظلماً ، وقد وصلت الى هذه البقعة او على بعد خطوات منها وعندئذ أطلقت الرصاصة فمرت على بعد سنتيمترات من أذني .

ـ ومن أية ناحية أطلقت الرصاصة ؟

ـ من بين الأشجار ، ولقد ارتميت على وجهي خشية ان يعـــاود المعتدي اطلاق النار ، ويغلب على ظني انه لم يرني لشدة الظلام فلم يعاود الكرة ولاذ

بالفرار ، وسمعت صوت خطواته صادراً من هذه الناحية فقفزت مندفعاً وراءه .

ـ وهل رأيت المعتدي ؟

ـ كلا ، ولكن وقع خطواته كان مسموعاً فتبعته ، ولم أستطع اللحاق به في هذا الظلام .

والتفت الطبيب الى تريد وقال :

ـ هيا بنا ، ان ماء المطر بلل عظامي .

لكن الجنرال لم يقنع بهذا الايضاح ، والتفت الى الحارس وسأله :

ـ ما رأيك في هذا الحادث يا ترمبلاي ؟ ان احدنا قتل والثاني اطلق عليه الرصاص ، فماذا حدث لرجال البوليس الذين كانوا هنا بعد ظهر اليوم ، لماذا لا يدفعون عنا هذه الأخطار ؟

وكان بيجوري قد اختفى من بين الجماعة ، فعاد الى الظهور في تلك البرهة وأقبل من ناحية الكبائن وهو يصيح :

ـ اين الحارس ؟

فتقدم ترمبلاي بشمله ، وما كاد يقع عليه بصر بيجوري ، حتى صاح هذا الاخير :

ـ أين الانسة دي سان ريمي ؟

ولم يجبه ترمبلاي على الفور ، بل تطلع اليه مشدوهاً وظل واجماً برهة ، ثم تمتم قائلاً :

ـ اليست في غرفتها ؟

ـ كلا !

ـ إنها قالت لي منذ ساعتين انها ذاهبة الى فراشها .

ـ لكن غرفتها خالية ، وفراشها مرتب لم ينم عليه احد ، لا ريب انها ذهبت الى القصر او الى بيت بوشيرون . سأنطلق للبحث عنها .

وبعد انصراف مفتش البوليس ظل تريد والطبيب وود يفكران في امر

الفتاة ويضربان اخماساً لاسداس الى ان أتى عليها ترميلاي فجـــأة وانبأهما بأن الفتاة عادت وانها قالت انها خرجت للنزهة .

فلم ينتظر وود اكثر من ذلك ، وانطلق مسرعاً الى الكابينة فقابلته الفتاة وعلى وجهها أمارات الفرح ..

فبادرها وود بقوله :

ـ ما معنى هذا الاختفاء الفجائي ؟ هل علمت اننا بحثنا عنك في كل مكان ؟ الم يكن في استطاعتك ان تخبري احداً بأنك خرجت للنزهة ؟

واحتواها الطبيب الشاب بين ساعديه وراح يهمس في أذنه قائلاً :

ـ لقد ظننت انني فقدتك .. أدريين .. اني لا أكاد أصدق اني وجدتك ثانية ..

ولكنها سرعان ما تملصت من بين ساعديه فحول وود بصره فرأى تريد بالباب يبتسم ويقول :

ـ أرى انه قد تم التفاهم بينكما ، والان أود التكلم الى الانسة ادريين ، أما انت يا جورج فيحسن بك ان تذهب وتنبىء بيجوري تليفونياً بأن الانسة عادت ، أخطره بذلك في الحال والا أساء التصرف فتسوء العاقبة .

وما ان خرج وود حتى قال تريد يكلم الفتاة :

ـ اذن قد لقيت الاعور !

ـ وكيف عرفت ذلك !

ـ بالتفكير العميق ..

ثم أشار الى احد المقاعد وقال :

ـ اجلسي وأخبريني بما أفضى به الاعور اليك .

* * *

وبعد انصراف ادريين ، نهض تريد لساعته وكتب رسالة ، وطلب الى الطبيب وود ان يذهب بها الى العمدة فيسلمها اليه شخصياً ، ثم يلحق به الى القصر في الساعة التاسعة ، حيث الجميع على موعد هناك مع بيجورى .

وفي الساعة المعينة ، ذهب الطبيب وود الى القصر ، فلاقي القوم في قاعة الاستقبال ، واحس بجو الغرفة مشحوناً بالكهرباء .

التقت عيناه لاول وهلة بعيني ادريين فابتسمت له الفتاة ابتسامة طمأنته وأنسته همومه وقلقه .

وكانت الفتاة جالسة بجوار بيجوري ، وكان هذا الاخير يوجه كل اهتمامه الى بوشيرون الذي وقف منه موقف المتهم من القاضي .

وما كاد وود يدخل الغرفة ، حتى أغلق الكونستابل بيسونيت بابها واستأنف بيجوري طرح الاسئلة على بوشيرون .

الفصل الخامس والعشرون

سأل البوليس السري مسجل العقود :

– هل تقرر يا سيدي انك دفعت ريع الأملاك لمسيو هكتور دي سان رنجي ؟

– نعم .

– وتقول انه على أثر وفاة شقيقه هكتور ، أصبح الموقف غير جلي من الوجهة القانونية ، فامتنعت عن ارسال النقود ؟

– نعم ..

– هل فعلت ذلك بتحريض مستر آدمز ؟

– كلا !

– ألم تكن تعلم بوجود مستر آدمز في سان فلورنتين ؟

– قلت لك انني كنت غائباً في (كوبيك) عند وصوله .. انه قدم إلى المصيف يوم الأحد على ما أظن .. أما أنا فقد عدت من (كوبيك) يوم الثلاثاء .

– أتعرف في (كوبيك) متجراً لبيع التحف الأثرية باسم (روي وميشو) ؟

فهز بوشيرون رأسه وأجاب قائلا :

– إنني لا أعرف متجراً كهذا في كويبك ..

– ولكنك كنت تعرف محتويات القصر .. اليس كذلك ؟

– نعم ، على وجه الاجمال .

– توجد بعض تحف توارثتها العائلة ولكنها فقدت ، وبين هذه التحف المفقودة علبة سعوط (نشوق) ذهبية ، وبعض الأدوات الفضية والخزفية .. فما سر اختفائها ؟

– لقد فكرنا في أن مسيو هكتور لا يبعد أن يكون قد حملها معه إلى فرنسا ..

– ألم تعلم أنه كان قد أخفاها في الغرفة الزجاجية ؟

– كلا ..

– لكن آدمز كان يعلم ذلك ، وهذا ما حمله على العودة إلى سان فلورنتين .

– معنى هذا أنه كان يعلم ما لا أعلم ..

– إذن لم تعرف ان هذه التحف قد سرقت من مخبئها في القصر ؟

– كلا .

– ولكن مهنتك كانت تحتم عليك أن تعرف هذه المسائل ، لقد كنت وكيل صاحب القصر ، وكنت تحمل مفاتيح الأبواب . أفلم يخطر ببالك أن مسيو هكتور لم يرسل في طلبك في الليلة الماضية إلا لاكتشافه السرقة ، وانه اراد من دعوتك أن يسألك عنها ؟

– انني لا أعرف لماذا أرسل في طلبي ..

– متى عدت من (تراوبون) في الليلة الماضية ؟

– بعد الساعة الحادية عشر ..

– ما السبب إذن في وجود سيارتك خارج منزلك حول الساعة العاشرة والنصف !

ورأى بيجوري أن بوشيرون يوشك أن يهز رأسه نفياً ، فأشار بإصبعه محذراً وقال :

– فكر قبل أن تجيب يا أستاذ بوشيرون ، فإن لدي شاهداً .

ولأول مرة انقلبت سحنة بوشيرون ..

ولكنه ما لبث أن قال :

– يحتمل أن أكون قد أخطأت في تحديد الوقت

– معنى ذلك إذن ، انك عدت حول الساعة العاشرة والنصف.

– قد يكون ما تقول .

– شكراً لك .. لماذا أرسلت في طلب الدليل باتيس صباح اليوم ؟

– لقد اتصلت بي إشاعة مفادها انه يستطيع إذا تكلم وقال ما عنده ، أن يبرىء ماتياس الأعور .. فرأيت ان أسأله في هذا الموضوع ..

– ألم يكن ذلك بقصد إعطائه مائة ريال لضمان سكوته عن الرسالتين اللتين حملهما اليك في منزلك من عند آدمز ، احداهما يوم الأحد ، والأخرى في الليلة الماضية !

وهنا وثب مسجل العقود واقفاً

ثم قال غاضباً :

– هذا كذب !

– ماذا كنت تفعل في القصر في الليلة الماضية !

انفجر هذا السؤال كالقنبلة ، فتلاشت حدة بوشيرون ، وأخلد إلى الصمت ..

على انه قال آخر الأمر ، وهو يجيل بصره بين الدكتور وود وتريد غولد

– إن هذين السيدان سيعززان أقوالي ، ذهبت إلى القصر في رفقة قاضي التحقيق .

– اعني قبل ذلك ، اي قبل ان يذهب هذان السيدان او سواهما إلى مكان الحادث !

– انني لم اقترب من القصر قبل ذلك ، وإنما كنت في (تروابون) .

وهنا تدخل تريد بصوته الهادىء قائلا :

– إن شبهات بيجوري يا مسيو بوشيرون تقوم على اكتشاف آثار أقدام حول القصر .

لقد كانت آثار الأقدام ضيقة ومدببة يا استاذ ، وهي تطابق كل المطابقة هذا الحذاء الذي تلبسه ..

فقال بوشيرون في لهجة الظافر :

– سأجيبك إلى ما تطلب .. لقد كنت انتعل في الليلة الماضية حذاء من المطاط فوق الحذاء المعتاد ، وأنا أشهد على هذا خادمة فندق (تراوبون) ، لأنني نسيت الحذاء المطاط في الفندق حينما غادرته وعدت لاسترجاعه .

فقال بيجوري في إصرار :

– ومع ذلك فانك جئت إلى هنا في الليلة الماضية ، فإن تلك الآثار قد تركها رجل ينتعل حذاء من المطاط . وهذا الرجل قد وقف خارج غرفة الطعام . وفي وسعي أن أحدد لك الوقت على وجه الدقة . فقد كان ذلك قبيل انقطاع هطول المطر عند الساعة الحادية عشرة !

فارتجف مسجل العقود وتصبب العرق على جبينه ، وراح ينظر حوله كالأسد المجروح .

ولكنه هتف فجأة :

ـ هذا كذب ، هذه مؤامرة لاهلاكي .

ـ لقد كنت هنا قبل الساعة الحادية عشر ، وبقيت سيارتك في مكانها أمام الباب الخلفي من الساعة ١٠٫٤٥ إلى ما بعد انقطاع المطر ، ولا تزال آثار العجلات بادية للعيان دليلاً على ذلك ..

انك اتيت إلى هنا لمقابلة ادمز الذي بعث اليك برسالة مع باتيس ينبئك فيها بأنه ذاهب إلى القصر ، لقد وجدت هذه الرسالة بانتظارك حينما رجعت إلى منزلك ..

لا تحاول الانكار ، فقد قرر باتيس ولافو أمبواز أنهما شاهدا سيارتك خارج منزلك . وحلفا على ذلك ..

لقد نزل بك الافلاس وركبك اليأس ، ولم يكن لك من مصدر تستمد منه المال سوى اجور الأملاك التي عهدت اليك فذهبت تبتزها وقد رأيت اخيراً انه لو علم مسيو هكتور بأنك كنت تسلب التحف وتبيعها إلى تجار الآثار في كويبك فانك ضائع لا محالة ، ولذلك قتلت ادمز لتحول دون وشايته بك .

واكبر ظني انك قتلت حارس الطاحون الذي لا يبعد أن يكون قد فاجأك وأنت تنقل المسروقات من القصر ..

وكما قتلت ليرميت لانه كان يستطيع أن يشهد على براءة ماتياس الأعور ، ولما رأيت ان ظروفك قد ساءت وأصبح مركزك شديد الحرج ذهبت تحاول الصاق التهمة بالآنسة دي سان ريمي .

فتهالك بوشيرون في مقعده ..

ثم اجاب في صوت اجوف :

ـ على رسلك .. سأخبرك بما تريد .. ولكن أطلب أولاً قدح ماء ..

وتجرع بوشيرون الماء ..

وراح يقول وقد سقط رأسه فوق صدره :

ـ حينما توفيت السيدة (أنيتا) اخت هكتور منذ ستة شهور ، أخذت احجز إيجار الأملاك ، ذلك لأنني كنت في اشد الحاجة إلى المال ، وقلت لنفسي ان مسيو هكتور سوف يعتقد بلا ريب ان ادمز هو الذي أمرني بحجز الايجار ، ولكنني لا أعرف شيئاً عن تلك التحف ، ولم اقتل ادمز او سواه !

ولقد كتب الي ادمز يوم الأحد الماضي يقول بـأنه يقيم بالمصيف ، وانه يود أن يراني .. ولكنني شغلت عن مقـابلته بعد عودتي من كويبك .

على إنني حينما رجعت إلى منزلي من (تروابون) وجدت رسالة أخرى من آدمز دفعها تحت الباب .

فقال تريد :

ـ هل معك الآن هذه الرسالة ؟

ـ لقد مزقتها ، ولكني أذكر مضمونها ، فقد أعرب لي فيهـا عن غضبه وقرر ان هناك ضوءاً شوهد بالقصر في تلك الليلة ، وانه معتزم التحقق من ذلك وانه لا فائدة من محاولتي تجنب مقابلته ، واقترح علي ان اقابله بالقصر ، وأن أحمل المفاتيح معي لنجتمع بداخله .

فسأله تريد غولد :

وهل ذهبت ؟

فأومأ بوشيرون برأسه إيجابا ..

ثم أجاب :

ـ كنت اظن ان مسيو هكتور عاد إلى القصر ، لأنه كتب يهدد بهذه العودة في إحدى رسائله إلي بشأن الايجار .

وكان معي المفتاح المؤدي إلى (الاسطبل) ..

ولكنني رأيت ان أطوف بالقصر باحثاً قبل أن أدخـل اليــه ، ولذلك تركت سيارتي عند البـــاب الخلفي ، وتقدمت إلى واجهة القصر الأمامية .

وهناك شاهدت ضوءاً ينبعث من غرفة الطعام ، فاقتربت منها وشاهدت النافذة مفتوحة ، فجعلت أنظر من خلالها ، ووقع بصري على مسيـو هكتور وآدمز واقفين احدهما إزاء الآخر حول المائدة .

وكان مسيو هكتور يصيح في صوت يتهدج من الغضب والانفعال : « لقد ذهبت أموالي نهباً مقسماً . » ، فأدركت على الفور انـه أطلع آدمز على مسألة الايجار .

– ألا يحتمل أن يكون حديثهما منصباً على التحف التي كان يخفيهـا بالبيت ؟

– بل كانا يتجادلان في مسألة الايجار ، فـإن آدمز كان يمسك بيده قلم وقطعة من الورق ، وهو القلم الذي وجد تحت جثته .

وكان في جيبه كما تذكرون لائحة حساب دونت بهـا بعض الأحرف بالقلم الرصاص ، وهي تفصيل لمبالغ الايجارات السنوية ، ومن هذا علمت أن هذه المسألة كانت مدار كلامهما ، وبعد ذلك غادر الرجلان الغرفة .

– وهل هذا كل ما تعرفه

– اني أشهد الله على صدق كلامي ..

فقال بيجوري في ايجاز وهو يجمع اوراقه :

– سأعتقلك للاشتباه في امرك ، وسوف أعـد ملخصاً بكلامك كي تمضي عليه ..

على انه ما لبث ان بتر كلامه .

ذلك ان تريد غولد دنا منه وساعته بيده وتحدث اليـه همـاً ، وعلى اثر

دلك التفت بيجوري إلى اثنين من رجاله وتمتم :

– اني اترك هذا الرجل في حراستكما .. فتشاه وجرداه مما يكون معه من الأسلحة ، أما انت يا بيسونيت فتعال معي .

وأجال بصره في جوانب الغرفة .

ثم استطرد :

– لا تدعوا أحداً يبرح المنزل حتى أعود ..

وسار إلى الباب وتبعه ترید غولد والدكتور وود .

الفصل السادس والعشرون

ما كاد وود يتقدم في الجنينة التي يسودها الظلام د حتى رأى تريد غولد وبيجوري واقفين تحت شجرة لا يصل اليها الضوء المنبعث من نافـــذة غرفة الاستقبال .

ولما لحق بهما سمع صاحبه يخاطب المفتش :

– يجب ان نقوم بهذه المهمة في الظلام ، وفوق هذا لا أريد أن ينبس أحد بكلمة واحدة حالما نشرع في الهجوم ..

هل اتيت بمسدسك ايها المفتش ؟ حسناً ، وأنت كذلك أيها الكونستابل عظيم ، اذن فاتبعوني ، ولا تفوهوا بكلمة واحدة .

وساروا في الحديقة حتى نهايتها ، ثم خرجوا منها وشرعوا يتقدمون على ضفة الغدير حتى ادركوا الطاحون المائية .

ودنا تريد من باب خشبي مهدم ، فنفذ منه إلى داخل الطاحون وغاب بضع ثوان ..

ثم رجع وأشار اليهم أن يتبعوه ..

ووجدوا أنفسهم في فناء صغير .

فهمس تريد في اذن بيجوري :

– أرجو ان تأمر بيسبونيت بالبقاء في الخارج والاختفاء بين الأشجار

ومنع أي كائن من كان من الخروج .. ولكنه يستطيع ان يسمح لمن يحب بالدخول .

ولما خرج الكونستابل لانفاذ هذه التعليمات أضاء تريد مصباحه الكهربائي .

فرأوا على نوره عربة صغيرة في احد جوانب الفناء ، قال :

– لنختبيء وراء هذه العربة ، ولكن ارجوكما التزام الصمت التام حتى أعطي الاشارة .

قال ذلك وأطفأ مصباحه ، ووقف ثلاثتهم خلف العربة في ظلام لا يبصرون معه شيئاً .

وانهم كذلك إذا بهم يسمعون وقع خطوات تدنو من مدخل الفناء ، فتطلعوا بأعينهم وأرهفوا حواسهم !

وما لبثوا أن تبينوا برغم الظلام شبحاً ملثماً ينفذ إلى داخل الفناء ..

ووقف هذا الشبح الملثم بالقرب من السلم المؤدي الى الطاحون ، وكمن في موضعه دون أن يبدي حراكاً .

وفي ذات اللحظة بدا شبح اخر عند مدخل غرفة الطحن وأطل برأسه الى الخارج .

ثم أشعل عود (كبريت) .

وعندئذ رأوا على ضوء عود الكبريت ، وجه ماتياس الأعور .

وابصروا به وهو يدني عود الكبريت من وجهه ويشعل غليونه

وما كاد الضوء يتلاشى حتى اختفى الأعور داخل الطاحون مرة أخرى ..

وفي الحال رأى الثلاثة ذلك الشبح الملثم يبرز من مكمنه بالقرب من السلم ، وينفذ إلى الغرفة في اثر ماتياس ..

وعندئذ وثب تريد من مكانه وطلب إلى رفيقيه أن يتبعاه .

واقترب إلى غرفة الطحن ..

وفي هذه اللحظة سمع القوم من داخل الغرفة صيحة مختنقـــة ، وصوت تلاحم اجسام ..

وارتفع تريد من داخل الغرفة وهو يصيح :

- احرسوا الباب ..

وفي هذه احس وود بجسم يرتطم به بقوة ، فهوى الى الأرض ، ولكنه تذكر مصباحه الكهربائي فأضاءه ، واذ ذاك تلاشى صوت اشتبـــاك الأجسام ..

ورأى وود انه اصطدم بأخشاب الطاحون .

فنهض واقفاً ، وشاهد ماتياس الأعور على بعد ثلاثة اقدام منه ، والدم يقطر من وجهه ..

وأضيء مصباح كهربائي اخر في نهاية الغرفة ، وارتفع صوت تريد وهو يصيح بالفرنسية قائلا :

- اترك هذا الخنجر ، والا أهبت رأسك برصاص مسدسي ..

فهرع وود الى مصدر الصوت .

فرأى تريد واقفاً في ركن المكان وقد امسك مسدسه باحدى يديه ، وامسك بالأخرى مصباحه الكهربائي ..

وكان امامه رجل ضخم الجثة يضع فوق رأسه كيساً من القماش به ثقبان تبدو منهما عيناه ..

وقد اخفى يديه تحت قفاز من الجلد .. وامسك باحداهما خنجراً طويلا ..

صاح تريد مرة أخرى :

- دع هذا الخنجر !

فارتد الرجل قليلاً ..

على انه ما لبث اخر الأمر ان القى بالخنجر على الأرض ، وفي الحال وثب اليه بيجوري وكشف الغطاء عن رأسه .. ووجد القوم انفسهم وجهاً لوجه امام العمدة ..

جوزيف روفيير ..

الفصل السابع والعشرون

وثب ماتياس الأعور وصاح في صوت أجش موجها كلامه إلى العمدة :

– أيها الشقي ، إذن فأنت الذي كنت لي غرفـة الجلوس ، في تلك الليلة !.

وقفز نحوه بخفة النمر ، وغرس أصابعه في عنقه ، وقد زاد الغضب محياه بشاعة ووحشية .

فهوى روفيير الى الأرض ، واصطدم رأسه بالحائط صدمة قوية ، ولولا ان خف الثلاثة الى نصرته لفتك به الأعور .

ودخل جاك في هذه اللحظة ، واشترك معهم في تخليص روفيير وقد تلوث وجه هذا الأخير بدم الأعور .

قال بيجوري وهو يحملق في ماتياس :

– هل جرحت ؟

فأجاب جاك وهو يتناول الخنجر من الأرض :

– أصيب بخدش بسيط من هذا الخنجر . اني كنت أترصد هذا الرجـل (وأشار نحو روفيير) كتعليمات مسيو ترند غولد ، لكنه سبقني إلى دخول الطاحون واستطاع ان يغيب عن نظري في الظلام .

وفي هذه اللحظة وصل بيسونيت ، فأمر بيجوري بأن يضع الأصفـــاد

الحديدية في يدي العمدة . ففعل دون ان يبدي روفيير أية مقاومة .

ونظر روفيير الى تريد بوحشية وقال له :

– إذن ، فقد كانت تلك الرسالة ، التي بعثت بها إلي الليلة ، فخاً للايقاع بي ؟

فهز تريد كتفيه واجاب :

– بل قل انها كانت لمجرد الاختبار .

وقاد بيسونيت العمدة الى الخارج أما بيجوري فإنه نظر الى تريد غولد طويلا ثم سأله :

– وما هو دور الانسة في هذا كله ؟

فرد تريد وقد لمعت عيناه :

– إن الفضل في اعتقال هذا المجرم يرجع الى ذكائها .

– وكيف ذلك ؟

– إنها تعرف ان الأعور كان يتردد كثيراً على الطاحون وهو حر طليق ، فلما علمت انه فر من السجن أيقنت على الفور انه لن يلجأ الى غير الطاحون ، لأنه لم يكن يستطيع بالطبع ان يذهب الى كوخه .

فحك بيجوري رأسه وقال :

– كان يجدر بي ان أفكر في ذلك .. وإذن فهي كانت في الطاحون حين حسبنا انها اختفت او اختطفت . ورأت الأعور بطبيعة الحال ؟

فأومأ تريد برأسه علامة الايجاب وقال :

– نعم ، إنها رأته .. وعلمت منه انه رأى رجلاً في غرفة الجلوس حينما رجع الى القصر ليلة حصول الجريمة . ورجوع ماتياس الى القصر في تلك الليلة ، دليل على انه شعر ، رغم سكره ، بأن الواجب يقضي عليه بأن ينبيء سيده بأنه لم يستطع الاتصال بسجل العقود بوشيرون .. وقد وصل الى القصر بعد ان ذهبت الفتاة بجدها الى حجرته ، وأرسلت جاك

لاستدعاء الطبيب .

فقال المفتش :

– هذا صحيح .. فقد أخبرني باتيس ، ان الأعور غادر حانـــة (ليرميت) ، عندما دقت الساعة الحادية عشرة ، ومعنى هذا انه جاء الى القصر حوالي .

– ستسمع هذه الرواية من الأعور نفسه ، بعد ان يفرخ روعه ، وعلى كل حال ، فإنه قال للفتاة انه دخل القصر من نافذة المطبخ كعادته وذهب الى غرفة الطعام للبحث عن سيده .

وكانت هذه الغرفة مظلمة ، ولكنه رأى ضوءاً ينبعث من غرفـــة الجلوس ، ووقع بصره على آدمز ممدداً على الارض ، والمصباح بالقرب منه ، فدنا منه ليتحقق من امره .

وقد ذكر انه بينما كان يدنو خيل اليه ان شيئاً ما يتحرك قرب الباب ، وسمع وقع أقدام ثقيلة في البهو .

فلم يتريث ليتحقق من طبيعة الموقف ، بل لاذ بالفرار من نافذة غرفة الطعام واستولى عليه فزع رهيب .

– ولكن كيف علمت ان الشخص الذي رآه الاعـــور في القصر ليس بوشيرون ؟

– يذكر الاعور انه سمع صوت وقع خطوات ، وانا واثق ان بوشيرون كان ينتعل حذاء من المطاط ، وانــه أنكر ذلك ، فراراً من الشبهــات والريب .. ومع ذلك ، فإن روفيير نفســه ، هو الذي قطع الشك باليقين .

– بهجومه الليلة على الاعور ؟

– نعم ، انني بعثت اليه برسالة ذكرت له فيهـــا ان الفتاة اتصلت بالاعور ، واستخلصت منه الحقيقة ، وهي انــه رأى المجرم في القصر

وعرفه ..

وإنها على موعد مع الاعور في الطاحون في الساعة العاشرة من مساء اليوم لتستدرجه الى ذكر اسم المجرم .

فهتف المفتش :

— صبراً ، صبراً .. انا لم أعلم قبل الان ان الاعور رأى المجرم في القصر وعرفه ، وأصبح في استطاعته ان يرشد اليه ؟

— ان الاعور لم ير وجه القاتل ، ولم يتعرف عليه ، ولكن روفيير لا يعلم ذلك .

فالمسألة اذن كانت خدعة لتخويفه وحمله على المجيء الى هنا للتخلص من الاعور ، قبل ان يورده موارد التهلكة .

ولذلك ، فانني أمرت الاعور بالاختبـــاء في الطاحون ، حتى اذا كانت الساعة العاشرة ، خرج من الطاحون ، وأطـل من بابه .. لكي يراه روفيير ، فيؤمن بأن كل شيء يسير في مجراه الحقيقي ، وليس ثمـة أية خدعة .

وفي ذات الوقت ، أمرت جاك بأن يرابض على مقربة ، لكي يساعد الاعور فيما اذا هاجمه روفيير .

فهز المفتش رأسه وقال :

— ولكن على فرض ان روفيير رأى الاعور بباب الطاحون وأطلق عليه النار واصابه .. فماذا يكون ؟

فأجاب ترير غولد على الفور :

— ان روفيير لم يكن ليقدم على مثل هذه المجازفة ، فهو يعلم ان رجال البوليس يرابطون في القصر وان القصر قريب من هنا .

فإذا استعمل المسدس او البندقية ، سمع رجال البوليس دوي الطلق الناري ، فكان من الطبيعي اذن ان يلجأ الى استخدام السكين او الخنجر ،

ما دام في استطاعته ان يصل بأحدهما الى النتيجة التي يصل اليها ، فيما اذا استخدم المسدس .

فأطرق المفتش برأسه برهة ثم سأل :

– ولكن ، اذا كان روفيير هو القاتل ، فلماذا بقي في غرفة الجلوس بالقصر ، بعد ان ارتكب الجريمة بربع ساعة على الاقل ، حتى دخل الاعور وسمع وقع خطواته ؟

– اذا طلبت رأيي الشخصي ، في هذه المسألة ، فانني أظن ان روفيير رجع الى مكان الجريمة ، ليستولي على الحربة ، التي قتل بها ادمز .. لان روفيير من نوع المجرمين الاذكياء الذين يحرصون على ألا يتركوا وراءهم أثراً يدل عليهم ، ويرشد اليهم .

على انه إذا كان قد ترك الحربة أولاً ، بعد ان قتل آدمز ، فلا ريب انه فعل ذلك مكرهاً .

كأن يكون مسيو هكتور دي سان ريمي قد فاجأه وهو يرتكب الجريمة ، فتوارى المجرم في الحال .

أما الشيخ العليل فقد أذهله المنظر وهز أعصابه ، وكان سبباً في النوبة القلبية التي قضت على حياته .

على ان روفيير عندما عاد إلى غرفة الجلوس بعد ذلك ليستولي على الحربة ، رأى الأعور بجوار الجثة فلاذ بالفرار .

– ولكن . بقي أن نعرف ، لماذا ذهب إلى القصر ، في تلك الليلة ؟

إننا نعرف حركات أبطال هذه المأساة وسكناتهم ، في ليلة الجريمة ، ما عدا هذا الرجل ..

لأننا أسقطناه من حسابنا منذ البداية

– أعتقـد انني الذي كنت سببـاً في ذهابـه إلى القصر ، في تلك الليـلة ..

فحملق المفتش في وجهه وهتف :

– أنت ؟.

فضحك تريد غولد وتأبط ذراع بيجوري وقال :

– هذه حكاية طويلة تستغرق وقتـاً طويلا ، وسوف أسردها عليك في فرصة أخرى .

الخاتمـــة

عاد بيجوري الى المصيف حول منتصف الليل وتوجه لتوه الى كابينة تريد غولد، وهناك وجد الجميع في انتظاره، بل لقد خيل اليه كأن نزلاء المصيف جميعاً كانوا في انتظاره لمعرفة النتيجة .

وقد أسرع بيجوري في الحال الى تريد غولد وضمه الى صدره، وقبله وهو يصيح :

– يا مستر تريد غولد، انك رجل عظيم .

فضحك تريد غولد وقال :

– إنني مررت في حياتي بكثير من التجارب .. ولكن هذه أول مرة أجرب فيها قبلات رجال البوليس، ولكن ما سر إغتباطك أيها الصديق . هل اعترف العمدة ؟

– كلا، قلت لك انه ليس من طراز المجرمين الذين يعترفون بسهولة، غير إن الأدلة على إدانته كثيرة .. وقد عثرت في (الجراج) على كمية كبيرة من التحف الثمينة المسروقة من القصر .

فهتف تريد غولد :

– آه، هذه نتيجة لم أكن أتوقع أطيب منها .

– كذلك عثرت بكميات كبيرة من المشروبات الروحية المهربة، ولا ريب

ان الشقي كان يتاجر بهذه المشروبات بالاشتراك مع (ليرميت) نفسه .. ومما لا شك فيه ان خلافاً شجر بين الشريكين ، وان (ليرميت) هدد بالاعتراف لإنقاذ الأعور ، ففتك به العمدة ثم حمل الجثة في سيارته ورماها على قارعة الطريق .

والآن ، وقد جاء دورك لتذكر ما عندك يا صاحبي ..

فقال تريد غولد وهو يشعل غليونه :

— نعم ، ان هناك بعض تفاصيل يجب ذكرها قبل ان نطوي سجل هذه القضية ، فقد أثار روفيير شكوكي وريبي منذ رأيته لأول مرة بشأن طوابع البريد .

ذلك انه ذكر ان هذه الطوابع منزوعة من رسائل وردت إلى زوجته من أهلها في مختلف بلدان العالم .

وقد فكرت في ذلك فيما بعد ، وأدهشني ان يكون لزوجته أقارب في مختلف أنحاء العالم ، في حين ان جميع الدلائل تشير على انها ريفية ، وان أهلها يجب ان يكونوا ريفيين ومن أهل هذه البلاد .

ومما ضاعف ريبتي في هذا الرجل ، انني التقطت من أرض حانوته أمس غلافاً نزعت منه طوابع البريد . وكنت أريد قصاصة ورق لأسجل عليها عدد الطوابع البريدية التي أعطانيها أمس .

فوقع بصري على هذا الغلاف فالتقطته ، وفحصته فيما بعد ، فرأيت تحت المكان المفروض ان الطوابع نزعت منه بقايا حروف مطبوعة ، وفهمت من هذه الحروف ان الغلاف كان يحمل اسم اسرة سان ريمي ، وشعارها ، وإن الذي نزع الطوابع قد غاب عنه ان يتلف تماماً الاسم المطبوع على الغلاف .

وعندئذ تبينت لي الحقيقة بكل وضوحها ، وهي ان الطوابع البريدية قد نزعت عن رسائل تبودلت بين أعضاء أسرة سان ريمي .

وان هذه الرسائل لا ريب كانت محفوظة في القصر المهجور إلى ان امتدت اليه يد روفيير .

ومما ضاعف شكوكي وريبي .. انني عندما ذهبت الى روفيير أمس وجدت انه في شغل في (الجراج) فنظرت عند انصرافي في داخل الجراج ورأيت من الأدوات ما دلني على ان روفيير كان يشتغل قبل مجيئي باستبدال إطارات سيارة قديمة تشبه من كل الوجوه سيارة بوشيرون .. ولم أكن قد رأيت العمدة في تلك السيارة ، فأدركت انه يستخدمها في نقل الخمور المهربة وفي أغراضه الجنائية .

فسأله المفتش :

– هل تظن ان روفيير قد سطا على الرسائل التي كانت أسرة سان ريمي تحتفظ بها في القصر ؟

– نعم ، ولكن أظن انه وقع على التحف الأثرية بطريق الصدفة ، وانه كان يتردد على القصر كثيراً وخلسة ، ولعله كان يبحث عن غنائم جديدة ، وذلك في اعتقادي هو سر الأصوات الغامضة التي كانت تسمع في القصر من حين لآخر .

كذلك اظن ان حارس الطاحون رآه او ضبطه مرة وهو منطلق ببعض غنائمه ، ففتك به ليأمن الوشاية .

– ولكن بم تفسر وجوده في القصر في ليلة الجريمة ؟

– ذكرت لك انني الذي بعثت به الى هناك ، ولكن دون قصد ، وذلك اني أفهمته انني بحاجة الى المزيد من طوابع البريد . وشجعته بالمال في الصفقة الأولى ، فأغراه الربح بمحاولة الحصول على طوابع جديدة ، فتوجه إلى القصر ودخله خلسة ، ليسطو على المزيد من رسائل الأسرة .

وقد علمت من جاك ان هذه الرسائل كانت محفوظة في صندوقين كبيرين باحدى غرف القصر

على ان أهم أو عثرت به .. كان ذلك الغلاف الذي وجدته في حانوته أمس ، وقد فكرت في الأمر طويلاً ، فهداني التفكير إلى فهم الكثير من الحقائق المبهمة التي صادفتنا حتى الآن ، وفي مقدمة هذه الحقائق ، وجـود قوة خفية تعمل على إبعاد أهم الشهود ، والتخلص منهم ، وإثارة الشبهات حول أكثر من شخص واحد . ومحاولة إدانة الأعور بأي ثمن . . أخـــيراً ، تلك الرصاصة التي أطلقت امس على الدكتور جورج وود .

وفي اعتقادي ان ذلك الشقي شعر باهتمامي بمعرفة الحقيقة ، وبأني في طليعة الذين يؤمنون ببراءة الأعور .

فتبعني بعد ان تركت حانوته أمس ، وتربص لي في المصيف ، حتى إذا رأى الدكتور وود ، وكان قد ارتدى معطفي ليقيه ماء المطر ، حسب انه يراني فأطلق عليه الرصاص

– ولكنك لم توضح لنا كيف قتل ادمز ؟

– يحتمل ان يكون ادمز ومسيـــو هكتور دي سان ريمي قد تكلما بخصوص ريع الأملاك كما ذكر بوشيرون ولكنني اظن ان الشيخ عندما صاح بأنه (سرق) إنما كان يشير الى التحف الأثرية الثمينة ، وانه خرج من الغرفة بعد ذلك ليصعد بآدمز السلم ويدله على المخبأ الخالي . فتبعه ادمز والمصباح في يده

– اما روفيير فظن انه دخل القصر في تلك الليلة ، وهو لا يعرف بأن الشيخ والفتاة قد عادا اليه ، وهذا يدلنا على انه اعتاد دخول القصر من غير الأبواب .

والذي افترض وقوعه ، هو ان يكون روفيير قد سمع الجلبة والضجة التي قامت بين ادمز والشيخ فدفعه الفضول الى استطلاع الخبر ، ووقف بباب غرفة الطعام ، حيث كان الرجلان ، وراح ينصت الى حديثهما ، وفجأة فتح الباب وخرج منه الشيخ ، فرأى روفيير ، وكانت المفاجأة قوية وغير منتظرة

فذعر الشيخ وأصابته تلك النوبة القاتلة . اما روفيير فإنه لاذ بالفرار الى غرفة الاستقبال .

ومن المرجح ان يكون ادمز قد استولى عليه الذعر بعــد الذي اصاب هكتور دي سان ريمي ، فاندفع بدوره الى غرفة الجلوس والمصباح بيده ، فوضع المصباح على الأرض واجال الطرف حوله ، عسى ان يجد في الغرفة من يستنجد به .

ومن المؤكد ان روفيير خاف ان يؤخذ كالفأر ، وان يقطع عليه ادمز سبيل الفرار ، فمد يده وتناول الحربة بيــده المتقززة ، وقتله بها ، ذلك هو التعليل الوحيد المعقول للجريمة .

— تمت —